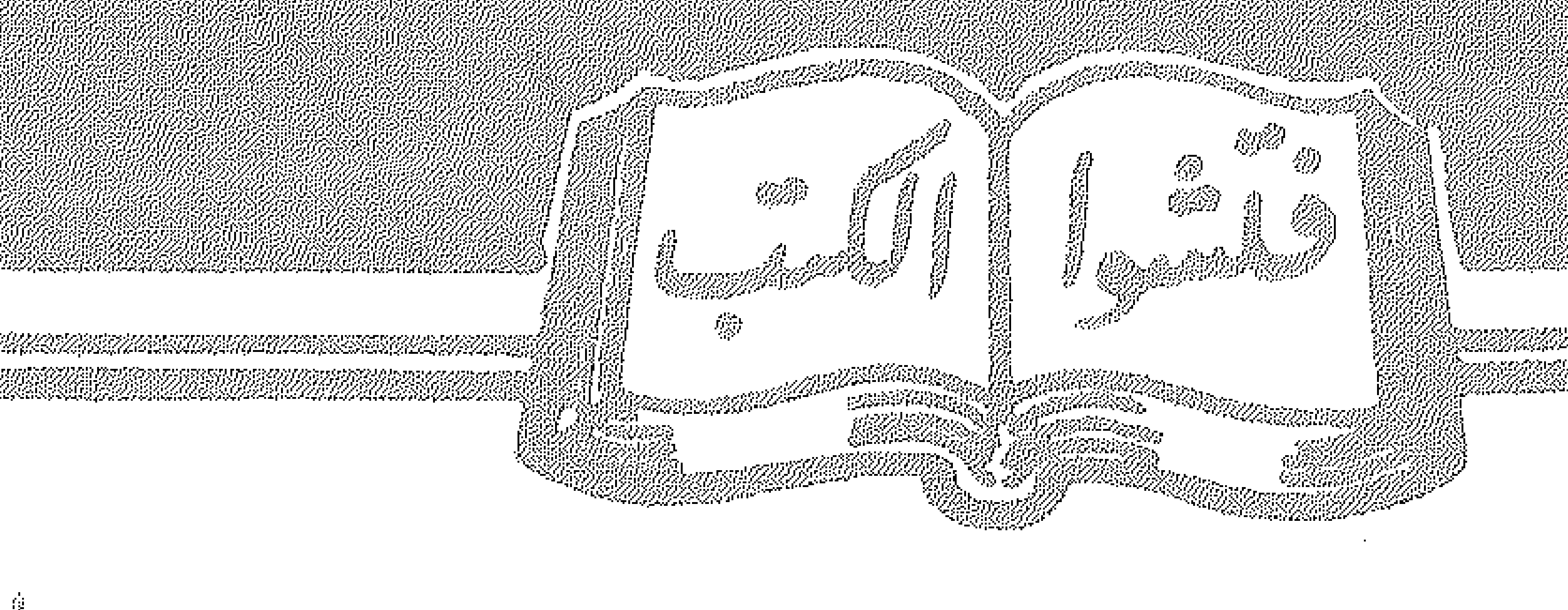


الحياة المباركة

تأليف

ف. ب. ماير

يناير ١٩٦٣

لجنة خلاص النفوس للنشر

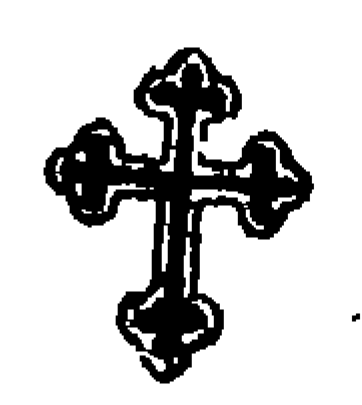
الحياة المباركة

تأليف

ف . ب . ماير

يناير ١٩٦٣

يطلب من
لجنة خلاص النفوس للنشر
١٢ شارع ترعة شبرا مصر



باسم الآب والابن والروح القدس

إله واحد . آمين .

مطبعة النيل المسيحية

مقدمة المؤلف

لا شك أن جميع المؤمنين قد دخلوا فعلاً وحقاً الحيــاة الابدية ، لقد تخطوا الحدود إلى تلك الحياة الابدية التى لا تستطيع فيها تغيرات هذه الحياة الزائلة أن تزعزع حياتهم المباركة . « الذى يؤمن بالإبن له حيــاة أبدية » (يو ٣:٣٦).

وإنه لأمر جوهرى لنا أن نتذكر بان مركزنا لا يتوقف على اختبارنا له ، كما أنه لا يتوقف على عواطفنـــا لأنها ، مع الأسف ، تتذبذب بصفة مستمرة ، أحياناً ترتفع إلى القمة وأحيــاناً أخرى تنخفض إلى الحضيض . لكننا نحن كمؤمنين مستقلون عنها بشرطين لازمين لكل راحة وسلام.

الشرط الأول أننا يجب أن نتعلم بان نعيش فى حدود إمكانياتنا. والثانى أننا يجب أن نعود أنفسنا على أن ندرك ، لا حقيقة مركزنا بالنسبة لله ، بل حقيقة مركز الله بالنسبة الينا ، ذلك المركز الثابت ، الذى لا يتغير ، الممتلىء بركة ، الذى لم يكن قط أقل بركة مما هو الآن ، ولن يكون أقـل بركة فى المستقبل ، هو «يبقى أميناً» (٢ تى ٢:١٣)، وهكذا نستطيع أن نتفهم معاملة الله لنا الآن ، ومقدار استعداده الآن لمنحنا الحياة المباركة .

ف. ب. صاير

الفصل الاول

« ها أنا معكم »

(مت ٢٨ : ٢٠)

منذ مائتى سنة كان يعيش فى أحد الأديرة فى باريس رجل بسيط القلب يدعى الأخ لورنس . ومع أنه كان طباخاً إلا أنه كان من ألمع الشخصيات الروحية . عندما كان عمره ثمانية عشر عاماً كان يتجول فى غابة فى فصل الشتاء . وللحال خطر بباله أن هذه الأشجار المائلة أمامه ، التى تجردت من أوراقها سوف يعود اليها مجدها بعودة أوراقها اليها فى فصل الصيف . وفى لحظة أدرك أن الله لا بد أن يكون موجوداً هناك ، وإن كان موجوداً هناك فلا بد أن يكون فى كل مكان آخر . ثم قال لنفسه : « هو ههنا بجوارى مباشرة ، وهو موجود فى كل مكان ، ولذلك فلن أوجد مرة أخرى إلا فى حضرته » . منذ تلك اللحظة أصبح هذا الشعور بالقرب من الله ، والوجود فى حضرته ، أحد العوامل التى كوّنت نفسه ، لم يفارقه أبداً ، كان يتأمل فيه بكل عناية حتى صاغ كل كيانه الداخلى .

كان هذا تفكيراً نبيلاً . وإن أتيح لكل قارىء لهذه الصفحات أن يحصل على اختبار مماثل فان هذا الاختبار يصبح له مصدر معونة جزيلة جداً . لكننا قبل

أن نحاول هذا نحتاج إلى أساس متين نقدر أن نبنى عليه. و يقيناً أننا لن نجد أساساً أكثر صلاحية لغرضنا من تلك الكلمات التى فاه بها الرب يسوع المسيح وهو يودع تلاميذه « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » .

نلاحظ فى هذه الكلمات أن الرب يتكلم بصيغة الحاضر ، فهو لم يقل أنه كان معنا ، أو سيكون معنا ، بل « ها أنا معكم » . قد لا نراه دواماً ، أو نتحقق من وجودنا فى حضرته . قد تضع دموعنا غشاوة على عيوننا ، أو قد يبهر عيوننا النور الزائف لهذا العالم الشرير . أو نعتبر أنفسنا فى ساعات الحزن الخانق أننا مهجورون ومتروكون فنصرخ فى خوف كأطفال فزعين فى الظلام لا يدركون أن أمهم جالسة بجانبهم . أو قد نتطلع إلى حبيبنا ـ كأولاد أغبياء ـ فى منظار معكوس فنراه بعيداً جداً عنا .

لكن كل هذا لا يغير حقيقة الأمر الواقع انه معنا ، يرثى لنا ، يحن الينا ، ينتظر اللحظة التى فيها يدفعنا للشعور بأنه قريب منا ، وذلك إما باشارة معينة كما فعل مع تلميذى عمواس ، أو بنغمة صوته كما فعل مع مريم المجدلية التى كانت تبكى عند القبر الفارغ . سعيدة هى النفس التى تعلمت أن تقول بالايمان ـ إن لم تقدر أن تقول بالحواس ـ « قريب أنت يا رب » (مز ١١٩: ١٥١) .

« كل الأيام » . هو معنا فى الشتاء عندما يهرب الفرح ، فى الأيام التى لا تظهر فيها الشمس ، فى أيام المرض والألم ، فى أيام التجربة والارتباك ، كما فى الأيام التى يكون فيها القلب ممتلئاً غبطة مثل ما تمتلىء الغابة بالأغانى فى

أيام الربيع . إن ذلك اليوم الذى لا يكون فيه الرب يسوع بجانب قديسيه ليس له وجود. قد يبتعد عنهم المحب والصاحب (مز ٨٨:١٨) . أما هو فانه يتمشى بجانبهم فى النار ، ويخوض معهم الأنهار، ويقف بجانبهم أمام الأسد. إننا لن نُترك وحدنا لذلك يجب دواماً أن نضيف مصادره إلى مصادرنا عند ما نواجه مختلف ظروف الحياة .

لا شك أننا نستطيع أن نتعود هذه الحقيقة المباركة ونعيش فى تيارها القوى إذا اتبعنا هذه الإرشادات البسيطة :

(١) يجب أن لا نترك مخدع الصلاة فى الصباح دون تركيز أفكارنا بقوة على هذه الحقيقة وهى وجودنا فعلاً فى حضرة الله الذى يحيط بنا ويملأ حياتنا كما يملأ السماء نفسها . قد لا نحصل على نتائج واضحة فى بداية الأمر، لكننا عندما نبذل مجهودات متكررة للتحقق من وجودنا فى حضرة الله فانها سوف تصبح يقينية لنا شيئاً فشيئاً ، وإذ تتوطد أقدام هذه العادة فينا ، فاننا إن كنا وحيدين فى غرفة ، أو فى إحدى الغابات ، أو سائرين فى الشارع، فى سكون الليل أو فى زحمة النهار، نجد أنفسنا فى كثير من الاحيان نردد هذه الكلمات : «قريب أنت يا رب ، أنت هنا يا رب».

(٢) ويجب أن نتذكر هذه الحقيقة ، وهى وجودنا فى حضرة الله ، كلما بدأنا عملاً جديداً ، أو جلسنا لنكتب خطاباً ، أو بدأنا السفر لأى مكان ، أو تهيأنا للقاء صديق . كان الرجل الذى تحدثنا عنه فى بداية هذه الكلمات يعتقد أن المطبخ مكان مقدس كأنه كنيسة . كان يتمم كل عمله فى الرب . كان له كل يوم حديث حلو معه إذ كان يؤدى خدمته المتواضعة .

كان يبدأ كل واجب من واجبات خدمته فى المطبخ بالصـــلاة . وإذ كان العمل يتقدم قليلاً كان يرفع قلبه لله فى الصـلاة مرة أخرى . وعندما كان يكمل كان يشكر الله من أجل المعونة التى تلقاها ، أو يعترف بخطيته إن قصر فى واجبه . وهكذا أصبح له الموقد ، بحرارته وأوانيه وروائحه كأنه باب السماء. وكانت نفسه متحدة بالله وسط مشاغل المطبخ كما كانت فى مخدع الصلاة .

ونحن إذ نتذكر الله مراراً وتكراراً ، ونطلب منه الصفح عندما نقضى ساعات طويلة فى نسيانه ، فان هذه العادة تصبح ميسورة لنا بل طبيعية ، بل تصبح كأنها طبيعة ثانيــة .

(٣) ونستطيع أن نثبّت هذه العادة بالتدرب على محادثة الله بصوت مرتفع ، كما نتحدث مع أى صديق بطريقة طبيعية جداً حتى فى أتفه مشاكل الحياة . إن الذين يتحدثون مع الله عندما يجثون على ركبهم فقط وفى الساعات المحددة للصلاة يخسرون الـكثير من البركات . صحيح أنه يجب أن تكون لنا أجمعين ساعات محددة للصلاة ، لـكننا يجب أن نربطها معاً بسلسلة لا تنقطع من الأحاديث المقدسة المحببة مع ذاك الذى يحصى شعور رؤوسنا بعنــــايته الدقيقة جداً التى لا تكل ولا تمل .

يقيناً أن اخنوخ كان يسير هكذا مع الله . وهذا هو الذى أعان أحـــد أولاد الله أن يقول « إننى أشهد لهذه الحقيــقة وهى أن الرب يسوع المسيح حى ، وأن شخصه إن كان لا يُرى إلا أننا يمكن أن نقترب اليه . لقد قضيت ثلاثاً وأربعين سنة فى التعرف شخصياً على مخلص شخصى ».

هناك أوقات خاصة نجد فيها تعزية مضاعفة إذ نلجأ إلى هذه الحقيقة . في وقت الصلاة لنلجأ إلى (مز ١٤٥ : ١٨) . في وقت الحزن العميق من أجل الخطية لنلجأ إلى (إش ٥٠ : ٨) . في وقت الألم الشديد وانسحاق الروح لنقرأ (مز ٣٤ : ١٨). في وقت الارتباك والحيرة لنقرأ (لو ٢٤ : ١٥). في وقت الخطر لنقرأ (٢ مل ٦ : ١٦). في وقت اقتراب التجربة لنقرأ (مز ١١٩ : ١٥١ و ١٥٢).

ونحن نستطيع دواماً أن نعتمد على معونة الروح القدس الذي يذكرنا بما ننساه ، ويوضح ويؤكد لنا ما قد تطمس معالمه طبيعتنا الناقصة .

هذا على الأقل ما يعزينا في غربتنا : إن حضرته معنا دواماً كما كان الحال مع موسى ، وإن حضرته لنا هي المن والماء ، الإرشاد والحمى ، النجاة والراحة . «أمامك شبع سرور . في يمينك نعم إلى الابد» (مز ١٦ : ١١)

« ها أنا معكم كل الأيام »

الفصل الثانى

«سلامى اعطيكم»

(يو ١٤ : ٢٧)

هاتان الكلمتان إذ نطقت بهما شفتا السيد فى ذلك الوقت كانتا أكثر من تحية شرقية عادية. فقد تضمنتا بركة المسيح الوداعيــة لمن أحبهم إلى المنتهى. فى اللحظة التى نطق فيها بهاتين الكلمتين ترك إلى الأبد لتلاميذه الأحباء، ولكل المؤمنين فى كل العصور، تركة السلام الذى كان يفيض من قلبه. لعلهم لم يدركوا كل ما كانت تنطوى عليه هاتان الكلمتان من معان. لكن عجزهم هذا لم يمنع غنى ومجد تلك التركة. وإذ مرت الاعوام استطاعوا أن يكتشفوا رويداً رويداً عمق المعنى الذى كانت تنطـــوى عليه هاتان الكلمتان اللتان لا يسبر غورها.

جدير بنا أن ندقق التأمل فى حرف «الياء» الذى أضافه مخلصنا بكلمة سلام فقال «ســلامى». فهو لم يتحدث عن السلام الذى اشتراه بدمه، ولا عن السلام الذى صنعه، ولا عن الســلام الذى يمنحه، بل عن السلام عينه الذى ملأ قلبه فجعله ثابتاً هادئاً مطمئناً وسط العواصف الكثيرة التى هبت عليه أثناء وجوده فى عالمنا. هو ينتظر ليمنح هذا السلام، وإذ يقف بجوار كل قارىء لهذه الكلمات، وقد ضغطت عليه الهموم والمتاعب، وتعبت رأسه من

التفكير المضنى ، وانكسر قلبه من الحزن الشديد ، فانه يتحدث اليه قائلاً «سلامى أعطيك» . فلنطالبه بتحقيق وعده ، ولنتمتع بهذه العطية بالإيمان فرحين .

إذا رجعنا للايات الثلاث (يو ٢٠: ١٩و٢١و٢٦) التى تتضمن بركة سلام الرب يسوع المسيح لتلاميذه استطعنا أن نميز ثلاثة ظلال لمعنى السلام الذى يهبه :

أولاً : سلام الغفران (ع ١٩)

هذا هو سلام المساء . عندما ينتهى النهار بمشاغله الكثيرة وهمومه الوفيرة ومطالبه العديدة التى ثقلت القلب والرأس واليدين ، فاننا نجد راحة عظيمة إذ تُغلق الأبواب ، ونمنع كل متطفل من الدخول ، ونلتقى بالأحباء الذين فى البيت . ومع ذلك فحتى فى هذه الاوقات تبقى هنالك أفكار لا نستطيع أن نمنعها من الدخول .

يستطيع التلاميذ أن يغلقوا أبواب العلية لسبب الخوف من اليهود . لكن هذه الابواب لن تستطيع أن تمنع دخول ذكريات خياناتهم الاخيرة ، وعدم أمانتهم وجبنهم ، وتنحيهم عن المسيح . كانت هذه الذكريات أشد وقعاً على نفوسهم من خوفهم من هجوم الاعداء عليهم . وكثيراً ما كان هذا هو اختبارنا . فان اليوم الذى أشرق صحواً مبهجاً قد اعتمت سماءه حوادث محزنة أليمة استطعنا أن نتجاهلها وسط مشاغل الحياة . لكنها عادت

لتضغط على قلوبنا وتملأها حزناً ـ كعودة كابوس الليل ـ إذ جلسنا لنستريح في بيتنا عندما حل الليـل .

قد تعود الينا بجدتها ذكريات ثورة إنفعـالية ، أو كلمة قاسية ، أو نظرة غضب ، أو تفكير شرير ، أو رغبـات غير مقدسة حتى ولو كانت لبرهة وجيزة ، أو تصرف خسيس فى أعمالنا اليومية وعندئذ نتحسر ونتمنى لو أننـا لم نكن قد استسلمنا لكل تلك الضـعفات الماضية ، ونتمنى ايضاً لو أمكن عودة ذلك الزمن من جـديد . لـكن هذا مستحيل مع الاسف الشديد . وعزاؤنا الوحيد هو فى مانح السلام ، الذى ، إذ يقف بجوارنا ، يقول بكل رقة ولطف «سلامى أعطيك» ، ويرينا يديه وجنبه ، عليها آثار جروح الجلجثة ، لـكى يؤكد لنا الغفران بدمه . فى مثل هذا الوقت يجب أن تقبل بالشكر ما يقدمه الينا ، ونرتدى رداء نعمته الرقيقة ، كما ترتدى الارض فى الشتاء رداء الثلج الابيض الرقيق .

إن أكبر معطل للسلام هو الشعور بالخطية ، والذى يمنح السلام يجب أن يعالج الخطية أولاً . ومخلصنا وحـده هو القادر على إتمام هذا العمل . فهو الحمل الذى خرج من الجلجثة كأنه مذبوح (رؤ ٥:٦) ، معلناً ضمان تبريرنا لـكى نستطيع أن نقول مع الرسول « إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله» (رو ٥:١)، ونضطجع لننام مع ملائـكة السلام والغفران التى تراقبنا أثناء ساعات الاضطراب .

ثانياً : سلام فى الخدمة (ع ٢١)

هذا هو سلام الصباح . يجب أن لا نفارق مخدع الصلاة قبل أن نرى وجه مخلصنا العزيز ، الرب يسوع المسيح ، ونتأكد بأنه قد أرسلنا لإتمام مشيئته وإتمام العمل الذى أعطاه لنا لنعمله . إن من قال لتلاميذه «كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا» (يو ٢٠:٢١) ، يردد نفس القول لكل واحد منا كل صباح . يجب أن نتأكد من أنه قد أرسلنا كما يرسل الملائكة «الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه» (مز ١٠٣:٢٠). هنالك خطة مرسومة لعمل كل يوم ، وهو مستعد ان يكشفها لنا إذا ما طلبنا . هنالك إرسالية معينة تنتظرنا . هنالك عمل شاق يجب أن نؤديه من أجله . هنالك درس يجب ان نتعلمه بالصبر لكى نكون أكفاء ان نعلمه لآخرين ايضاً .

ألا نجد معونة كبيرة إذ نسمعه يقول لنا كل صباح ، عندما يكشف لنا خطته ، ويهب قوته، ويرسلنا «سلامى أعطيكم»؟ وهذا السلام لا يستطيع العالم أن ينزعه . ففى وسط اضطرابات العالم وانزعاجاته يحفظ قلوبنا وأفكارنا فى «سلام الله الذى يفوق كل عقل» (فى ٤:٧). «فى العالم سيكون لكم ضيق . قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىَّ سلام» (يو ١٦:٣٣).

كثيراً ما تعطل سلامنا بسبب مطالب الخدمة ، وذلك فى ناحيتين . الاولى عندما لا نستطيع ان نعرف تماماً ما يجب ان نعمله . والثانية عندما نشك فى أن لنا القدرة الكافية لإتمام المهمة المطلوبة منا . لكننا لدى التأمل فى الكلمات التى أمامنا تزول كل المعطلات . ففيما يتعلق بالخطط ليس

هنالك أى مبرر لنا للانزعاج والاضطراب والاهـــتمام . لأن مَن يرسلنا كفيل بأن يضع الخطة حسب حكمته اللانهائية . ويكشفها لنا مهما استبدت بنا الغباوة أو البلادة . وفيما يتعلق بكفايتنــا ينبغى ان نكون مطمئنين بأنه سوف يعطى كل نعمة تلزمنا . لأنه لن يرسلنا قط دون ان ينفخ فىوجوهنا قائلاً «إقبلوا الروح القدس». إنه دائماً يهب القوة الكافية لكل عمل يرسلنا اليه. والنفخة رقيقة جداً حتى اننا كثيراً ما لا نحس بها كما يهب النسيم فوق الزهور دون ان يحس به أحد . لن يحرم منها أى قلب صادق يرغب فى إتمام عمل المسيح بمقتضى الخطة التى يرسمها هو ، وبالقوة التى يمنحها هو .

ثالثاً : سلام وقت الحزن (ع ٢٦)

هذا هو سلام الساعات المظلمة . هذا الزمن كثيراً ما أظلم قلوب البشر وثقلها كما فعل بقلوب التلاميــذ ولا سيما توما . لقد كان حزن شكه بنسبة قوة ورقة محبته (يو ١١ :١٦). لم يقدر أن يصـدق . عندما ينتظر مخزن كل البركات أن نفتحه بمفتاح الإيمان ، لـكن يبدو أننا أضعنا هذا المفتاح، ولا يسعنا إلا ان نرتمى عند قدمى المسيح ، نرثى لحالنا ،لعجزنا عن أن نؤمن. فى مثل هذا الوقت يأتى الينا المسيح و يقف بجوارنا قريباً جداً منا (يو ٢٠ :٢٧)، وان كنا لا نستطيع ان نراه (يو ٢٠ :٢٩) ،لـكنه يتنازل ليأخذ بيدنا وبرقة يرفع النفس الـكسيرة هامساً فى أذنها «سلامى أعطيك».

إن الساعات المظلمة تأتى لجميعنا . وإن لم يكن لدينا مفتاح السلام فاننا نصير فى حالة فزع وخوف باستمرار . ومالم نتعلم بأن نثق فى ان مَن يبعث

السلام داخل النفس قريب منا فان أقل شيء يقلقنا ويزعزعنا .

لا تدع شيئاً يأتى اليــــك دون أن تسلمه فى الحـــال للمسيح .. كل الاضطرابات التـافهة ، وكل الصعوبات الجسيمة ، وكل عجز عن أن تؤمن . حدثه عن كل شيء ، فهو يعرف كل شيء ويحبنـا إلى المنتهى ، وإجابة لهذا فانه يسكن قلوبنا المنزعجة ، ويطرد عنها مخاوفها ، ويطيب خاطرنا كما تطيب الأم خاطر ابنها .

« لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب . سلاماً أترك لـكم . سلامى أعطيكم » (يو ١٤:٢٧)

الفصل الثالث

« يطهر »

(١ يو ١: ٧)

يحدثنا أحد الاصحاحات الخالدة فى العهـد الجديد أنه فى الايلة السابقة لصلب الرب يسوع قام عن العشاء المتواضع ، واتزر بمنشفة ، وابتـدأ يغسل أرجل تلاميذه (يو ١٣) . ولما طلب منه بطرس أن يغسل ايضاً يديه ورأسه رفض الرب أن يفعل أكثر من غسل رجليـه ، وقال ان السبب فى ذلك هو ان «الذى اغتسل ليس له حاجة إلا الى غسل رجليه» اللتين كانتا لا تنتعلان إلا صندلاً مكشوفاً ، وهذا لا يقيهما من تراب الطريق . لهذا غسل أقدامهم فاصبحوا طاهرين كلهم .

هذه الحادثة التى تجلت فيها العظمة الإلهية فى اتضاع إلهى ، ليست فقط جزءاً من الإنجيـل ، ليست فقط رواية حدثت منذ عشرين قرناً ، لـكنها حقيقة راهنة حية .

هنالك طريقتان لقراءة عبارات الإنجيل . فاننا يمكننا أن ندرسها بروح الإعجاب الشديد بما كانت تنطوى عليه حيـاة المسيح فى الماضى . أو يمكننا ان ندرسها متطلعين اليه فى كل آية ، مدركين بانها تحدثنا عما هو عليه الآن . وكلٌ من وجهتى النظر صحيحة . ونحن نحتاج إلى ان نمزجهما معا . ولـكن

الواقع أننا كثيراً ما تطلعنـا إلى الإنجيليين الأربعة كمتحدثين عن الماضى لا عن الحاضر، وننسى أن يسوع المسيح هو هو اليوم، وهو جالس على العرش، كما كان أمساً وهو يتمشى على الارض. وفى هذا النسيان نحن نخسر الكثير جداً. فانه لا يزال كما كان، ولا يزال يقـول ما سبق أن قاله، ولا يزال يفعل ما سبق أن فعله. ليست الأناجيل إلا مجرد عينات عن حيـاته التى يحياها منذ الأزل وإلى الأبد، التى لا تتغير ولن تتغير.

إنه اليوم جالس على الجبل ليلقى عظته وأمامه كل الطبيعة كسفر مفتوح لتقدم اليه مادة لأمثاله الرائعة. هو اليوم يجرى معجزات الشفاء لجمـوع المتألمين، يجوز فى عنابر المستشفيات، ويقف فى غرف المرضى لينطق بالكلمة «طليثا قومى» (مر ٥:٤١)، ويلمسهم بلمسته الشافية. هو اليوم يركب فى موكبه العظيم ليدخل اورشليم يحف به جماهير الاطفال والأحباء المخلصين، بينما يهزأ به الفريسيون والصدوقيون. هو اليوم ايضاً منشغل فى غسل أرجل تلاميذه التى اتسخت بسبب رحلتهم فى البرية. نعم، إن تلك الحادثة الرائعة يمكن ان تتم معك أيها الأخ الحبيب، إن كنت فقط لا ترفض هذه العملية المتواضعة المفعمة بالمحبـة التى يتممها من تدعوه معلماً وسيداً، الذى يتمنطق ويأتى اليك ليخدم.

ويجب ان نحصل على هذا الاغتسال المستمر إن أردنا ان تـكون لنـا الحياة الطاهرة. لا يكفى أن ننظر إلى الوراء إلى ساعة معينة جثونا فيها عند قدمى ابن الله لطلب الغفران، وسمعناه يقول «مغفورة لك خطاياك الكثيرة»، فنحن نحتاج إلى الإغتسال كل يوم وكل ساعة من خطية كل يوم وكل ساعة.

خذ لك درساً من عين عامل المناجم الذى يعمل طول النهـــار وسط ذرات الفحم المتناثرة فى الجو . إنه حالما يخرج من المنجم فى نور النهار يكون وجهه ملوثاً بتراب الفحم ، أما عيناه فتكونان صافيتين لامعتين ، لأن ينبوع الدموع يتدفق بصفة مستمرة فيغسلهما من كل ذرة من تراب المنجم حالمـا تستقر على العين . أليس هذا هو الإغتسال الذى تحتاجه أرواحنا فى هـــذا العالم القذر الذى نعيش فيه ؟ وهذا هو ما يتوق ربنا المبـارك إلى أن يعمله معنا إن كنا فقط نثق فيه .

إن دم يسوع يتحدث عنا دواماً أمام العرش . لقد رشه هناك من أجلنا كاهننا الأعظم عندما دخل كسابق لنا ، ووجـــود الدم هناك هو حجتنا الوحيدة لطلب الرحمة . لـكننا نحتاج دواماً لنفس هذا الدم من أجل التطهير الداخلى . لا يكفى أن نتحدث عنه بصيغة الماضى قائلين أنه «طهر». بل نحن نحتاج إلى التحدث عنه بصيغة الحاضر دواماً قائلين أنه «يطهر».

كلما ارتعبت أمام شر طبيعتك القديمة ، إذ تهجم عليك بفكرة شريرة أو شهوة جامحة ، تطلع إلى فوق واطلب تطهيرك بالدم الـكريم .

كلما هجم عليك المجرب ، إذ يقـــرع على باب نفسك و يلوث عتبته النظيفة بقـدميه ، تطلع إلى فوق ايضاً واطلب من مخلصك أن يمحـو آثار قدميه ويلاشى كل دنس .

كلما ارتعبت لدى التأمل فى البون الشاسع جداً بين حيـاتك فى أسمى حالاتها وبين المثـــل الأعلى الذى تركه لنا الرب يسوع ، وفزعت بسبب شعورك بالتقصير الشديد ، فليس هنالك أمامك إلا ان تلجأ إلى التناول من

جسد الرب ودمه .

كلما سقطت فى خطية مفاجئة فلا تنتظر حتى المساء ، ولا تنتظر حتى تجد وقتاً مناسباً ومكاناً مناسباً ، بل ارفع قلبك لمخلصك الرحيم فى الحال، وفى ذات المكان الذى تكون فيه ، واطلب منه أن يغسلك ويجعلك أبيض من الثلج.

قبل الدخول إلى بيت الله ، وقبل الاشتراك فى أية خدمة ، وقبل القيام بأى عمل، يتحتم علينا أن نطلب التطهير من كل ما لوث ثيابنا ودنس قلوبنا. يجدر بنا أن نتأمل فى كل الاوقات الهادئة ، فى حاجتنا إلى غسل أقدامنا .

إن عشنا هكذا فاننا نجد ان شركتنا مع الله لا تنقطع،وأن المعلم الأعظم يأخذ بيدنا دواماً ليستخدمنا فى خدمته . إن يسوع لا يتطلب آنية ذهبية أو فضية ، بل آنية نظيفة طاهرة . وحتى إن كان الإناء خزفياً فانه يستخدمه إن كان نظيفاً . أما إن كان الإناء مدنساً فانه يتجاوز عنه ولو كان من أثمن المعادن .

هذه الكلمات جوهرية جداً لا شىء فيها من المبالغة قط . سلم نفسك لنعمة المسيح المطهرة ، وعندئذ تجد أنه لن يقترب منك أى دنس . أزل كل نقطة مدنسة حالما تسقط على نفسك . وردد دواماً فى صيغة الحاضر هذه الكلمات المباركة :

« دم يسوع المسيح ابنه يطهرنى من كل خطية»

الفصل الرابع

« يعمل »

(يو ٥:١٧)

إن الله أعظم عامل فى العالم . ومع أنه دخل راحته فى اليوم السابع ، إلا أن راحته مليئة بالعمل . هو يعمل فى الراحة ، ويستريح فى العمل . فعمليات الطبيعة ، وأعمال عنايته ، وتطور الحوادث فى التاريخ ، هذه كلها دلائل حية على أنه يعمل بلا كلل ولا ملل . «لأن منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد» (رو ١١:٣٦) .

يجب أن نحرص جداً على أن لا نخبىء هذه الحقيقة (ان الله يعمل) . إن المسكونة هى ميدان عمل الله ، والقلب الذى يسلم لله هو أيضاً ميدان عمله. هنالك مثل جميل عن هذا الفكر فى حياة الرب يسوع المسيح . عندما هاجمه أعداؤه لأنه شفى مفلوجاً فى يوم السبت أجابهم قائلاً «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل». هذه الإجابة العميقة ليست مفهومة فى كل وقت ولا يقدرها كل واحد ، والتفسير العادى لها هو أن أعمال الرحمة لم تعد تكسر السبت ، كما أن أعمال الله التى لا تنقطع لا تتنافى مع راحته . لكن هناك تفسيراً أعمق . هو أن قلب الله الآب منشغل نهاراً وليلاً بالعمل على راحة البشرية ، وهكذا الحال مع قلب الله الإبن .

إن الله يعمل فى قلوب كل محبيه الذين يطيعونه ، لهذا استطاع الرسول أن يقول « تمموا خلاصكم بخوف ورعــدة ، لأن الله هو العـــامل فيكم أن تريدوا وأن تعمــلوا من أجل المسرة » (فى ٢: ١٢و١٣) . ونفس هذه الحقيقة تظهر فى مواضع أخرى كثيرة «بحسب عمله الذى يعمل فىّ بقــوة » (كو ١: ٢٩) . «عاملاً فيكم ما يرضى أمامه» (عب ١٣: ٢١) .

يا لها من معانٍ تلك التى تحملها هذه الكلمات . تأملى يانفسى وتعجبى، لأن الإله الأزلى يتنــازل ويعمل فى حدودى الضيقة ، المتناهية فى القذارة والظلام ، فى ذلك القلب الخانق ! أليس عجيباً حقــاً أن الله الذى لا تسعه السماوات ، ولا هى طاهرة أمام عينيه ، يرتضى بأن يعمل فى قلب نجس كهذا؟ ووسط ظروف غير ملائمة كهذه ؟ فلنحرص كل الحرص على أن نرحب به، دون أن نقيم أية عوائق فى طريقه . لنحرص على أن نختزن كل حركات عمله المبارك كما يختزن الميكانيكى قوة ماكينته ، وكما يجمع الصــائغ ذرات الذهب التى تناثرت منه . ويقيناً أننا سوف نحس بخوف الرهبـــة المقدسة ورعدة الحرص الشديد إذ نتمم فى حياتنا اليومية ما يتممه الله أبونا فى داخلنا .

طبيعى أن خلاصنا كامل من إحــدى النواحى ، ولــكنه من ناحية أخرى لا يزال يتمم . لقد خلصــنا من الدينونة ومن قصاص الخطية عندما مات المسيح ، وفى نفس الوقت نحن نخلص كل يوم من الخطيــة الساكنة فينا ، وذلك بتجديد الروح القدس . كذلك سوف نخلص — من ناحيــة تحرير الجسد — عندما يبوق رئيس الملائكة معلناً قيامة الاموات . وبحثنا

الآن محصور فى المعنى المتوسط من هذه المعانى الثـلاثة ، أى فى خلاصنا من سلطة الخطية الساكنة فينا ، وتشكيلنا على صورة ابن الله .

جميل أن نعرف أن من يقوم بهذه العملية هو الله نفسه . هو يسكن فى القلب الذى يسلم اليه ، ويطرد منه كل شر ، كما طردت أول شعاعة من النور الاضطراب والتشويش من المسكونة . لـكنه لا يتمم عمله آليـاً أو قهراً أو بالقوة ، بل بايعازه ، وإيحاءاته التى بها يصـــدنا عن الشر وشبه الشر . إن أغمضنا عيوننا عن هذه العمليات وأهملناها خمدت ولم تبق لها أية نتيجة ،أما إذا حرصنا على إطاعتها إزدادت قـــوة ، وجعلت لطاعتنا تأثيرها الثابت فى حياتنا . إن الطاعة للايحاءات الإلهيـــة تحولها إلى قوة دائمة ثابتة فى طبيعتنـا الروحية .

هنالك حقيقة جوهرية يجب أن نضعها فى ذهننا ، وهى أننا إذا اتبعنـا فقط إيحاءات الروح القدس العامل فينا فقد نرتبك ، ويختلط علينا الامر ، ولا نعرف إن كانت هى إيحاءاته حقاً أم لا ، لأن الشيطان سوف يقلدها ، مغيراً شكله إلى شبه ملاك نور ، وذلك لإزعاجنا . لهذا يجب أن نذكر بأن الله يهذب أرواح البشر بثلاثة عوامل : بالـكلمة ، وبالروح القدس ، وبمجرى حوادث أعمال عنايته . هذه الثلاثة تتفق دائماً فى اتجاه واحد ، ولا تصطدم قط . لذلك فعندما نحس بدافع قوى داخل قلوبنـا وجب ان نمتحنه بكلمة الله أولاً ، وفى نفس الوقت يجب ان ننتظر حتى تتكشف الظـروف . إذا اتبعنا الإيحاء الداخلى بدون الـكتاب المقدس صرنا خياليين ، وإذا اتبعنـا الإيحاء الداخلى بدون الانتظار حتى تتكشف الظروف صرنا غير عمليين .

لتكن وجهة نظرنا دواماً أن نفتح كل كياننا لعمل الله فى داخلنا . لقد كنا أصلاً «عمله ، مخلوقين لأعمال صالحة» (اف ٢ : ١٠). والآن لنطلب منه ان يعمل فينا بأن نريد تلك الاعمال الصالحة ، حتى يمكن ان تخضع إرادتنا لإرادته وتتشكل على شكلها دون أى عائق . ويجب ان ننتظر ايضاً بأن يهبنا قوة كافية لنستطيع إتمام إرادته «فى كل رضى»(كو ١ : ١٠). وهكذا تظهر حياتنا يوماً فيوماً هذه الاعمال الداخلية المباركة التى تشهد لحلول الله فى القلب وعمله فيه ، كما يرى الناس أعمالنا الحسنة ويمجدون أبانا الذى فى السموات .

الفصل الخامس

«يقــوى»

(فى ٤ : ١٣)

كان هذا تصريحاً خطيراً يصرح به أى انسان إذ يقول « أستطيع كل شىء ». وإذ تقع أعيننا على هذه الكلمات لأول وهلة قد نظن أن المتكلم إما أنه لم يحصل إلا على اختبارات ضئيلة جداً لهـذا العالم المتقلب ، أو انه نال حظاً وفيراً جـداً ، لم يعرف معنى للفاقة قط ، لأنه يمتلك ثروة وفيرة جداً وسلطاناً واسع النفوذ .

لـكن لدى التأمل الدقيق يزول كل افتراض،ونجد أنفسنا أمام سجين موثق فى حراسة عسكرى رومانى، وجاز كل الاختبارات البشرية،فى أحد الأوقات نراه يصـل إلى الحياة فى ملئها ، وفى وقت آخر يصل إلى الحياة فى فقــــرها المدقع ، فاستطاع ان يقول « أعرف ان أتضع وأعرف ايضاً ان أستفضل ، فى كل شىء وفى جميع الاشياء قد تدربت ان أشبع وان أجوع وان أستفضل وان أنقص» (فى ٤ :١٢).لهذا أمكن للرسول ان يقرر هذا التصريح الأكيد « أستطيع كل شىء » بعد أن اختبر الحياة البشرية فى أقصى حدودها المتباينة .

هذه حالة نفسية جدير بنا أن نتوق اليها. ان نسيطر على كل الظروف، ان نحتمل الرخاء بدون كبرياء والضيق بدون تذمر ، ان نشعر بأنه لا توجد أية ظروف عالمية تزعزع النفس عن ثباتها فى الله، ان نقدر بأن نحول أعقد الصعوبات إلى تقدمنا الروحى ، أن يكون لنا شعور بتلك القوة التى تهزأ بالمستحيلات وتترنم فى الشدائد، ان نعضد الضعفاء حتى ولو بدا بأننا فى أشد الحاجة إلى أقل مجهود لنحوله لأنفسنا ، ان نشعر وسط ظروف الحياة المتقلبة شعور الخبير فى السباحة الذى يسبح وسط المحيط متحدياً أمواجه الهائجة — كل هذا ، وأكثر منه، يتضمن فى هذا التعبير « أستطيع كل شىء »*

واذا ما سألنا عن السر الذى منح هذا الشخص الضعيف هـذه القوة العجيبة، وجدناه فى العبارة التالية «فى المسيح الذى يقوينى» وعندئذ ندرك العلاقة بكل سلسلة التعاليم الداخلية التى يرى دارس الكتاب المقدس انه يكتظ بها . هذه الكلمات هى سر البركة وأساس الحياة المنتصرة . والفكرة الرئيسية فيها هى أن القوة التى نبتغيها لا تعطى لنا صفقة واحدة، نأخـذها حيثما نشاء ، لكنها حياة ، ونحن لا ننالها إلا طالما كنا متصلين بمصدرها ، بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً . وطالما كنا ثابتين فيـه فليس هنالك شىء مستحيل . لهذا يجب أن تكون غايتنا الوحيدة فى الحياة هى أن نظل ثابتين فى المسيح بصلة حية عميقة ، محترسين على أن لا يقطعها شىء ، ومستخدمين كل وسيلة لإزديادها قوة ومتانة . وإذ نستمر على هذا نجد أن قوته تتدفق فينا أمام كل الطوارىء . قد لا نحس دواماً بوجودها ، لكننا سوف ندرك

وجودها كلما اقتربنا منها، وعندما نحس بضعفنا الشديد فان نظرة واحدة إلى فوق بثقة وايمان تكفى لكى تأتى بتيار القوة إلى قلوبنا.

ليست هنالك تجربة لا نقدر أن نتغلب عليها، ليس هنالك فقر لا نستطيع تحمله بالصبر، ليست هنالك صعوبة لا نستطيع مواجهتها، ليست هنالك مهمة لا نقدر أن نتممها، ليست هنالك شهادة لا نقدر أن نؤديها - وذلك كله إن كانت نفوسنا فى صلة كاملة بيسوع المسيح.

تأمل كثيراً فى هذه الكلمة فى صيغة الحاضر «يقوينى». كما تمتص الزهور الصغيرة والأشجار العاتية الكبيرة أشعة الشمس الذهبية ساعة فساعة، هكذا تدخل قوة مخلصنا الحى إلى طبيعتنا التى تستقبلها ساعة فساعة. سوف يقف بجوارنا، ويسكن فى داخلنا، ويحيا فينا، مقوياً إيانا بقوته.

عندما كان يعقوب أبو الآباء على فراش الموت أخبر ابنه العزيز يوسف بأن إله يعقوب سوف يشدده بأن يضع يديه المقتدرتين على أصابعه المرتعشة، كما يضع رامى السهام يديه المحنكتين على يدى ابنه الرقيقتين ويعلمه كيف يصوب السهام. يا لجمال هذا التشبيه. مَن منا لا يتوق إلى أن يحظى باللمسة الرقيقة من يدى الله الذى يقوينا ويعمل فينا. هذا يمكن أن يكون من نصيبك ونصيبى أيها القارىء العزيز. عندما قدم نحميا طلبته قائلاً «يا إلهى شدد يدى» (نح ٦:٩)، أجابه الله قائلاً «انى أشددك». «انتظر الرب، ليتشدد وليتشجع قلبك» (مز ٢٧ : ١٤). «وأما منتظرو الرب فيجددون قوة» (أش ٤٠ : ٣١) أى يتقدمون من قوة إلى قوة.

لن تحــل قوة المسيح فى القلب الذى يفتخر بقوته ، فالقوتان لا يمكن أن تجتمعا معاً ، كما أن النــور والظلام لا يمكن أن يجتمعا فى مكان واحد. لهذا اعتاد الرسول ان يفتخر بكل ما يذكره بعجزه التام و بضعفه . هــذه الفــكرة جعلته يخضع بالرضى والتسليم الـكلى حتى للشوكة فى الجسد . وفى بداية الأمر صلى ثلاث مرات لـكى تنتزع منه، لـكن عندما وضح له الرب أن قوته لا تـكمل إلا فى الضعف، وأن وجود الشوكة يذكره دواماً بضعف جسده و يدفعه إلى الله القوى لطلب قوته ، و يجعله مثلاً بارزاً لظهور قوة الله فى ملئها ، عندئذ صرح بأنه بالحرى يفتخر بضعفه لـكى تحل عليه قوة المسيح ، لأنه عنــدما يكون ضعيفاً — فى شعوره العميق — حينئذ يكون قو ياً بقوة ابن الله القوى (٢ كو ١٢: ٩و١٠).

انها لمعونة عظيمة لنا أجمعين إن كنا نتطلع بهــذه الطريقة للصعو بات والتجارب . معتبرين بأنها قد أرسلت لا لإزعاجنا أو مضايقتنا ، بل لـكى تجعلنا نيأس من أنفسنا،وتدفعنا للالتجاء إلىمصادر القوة الإلهية،التى لا ننتفع بها كثيراً رغم انها قريبة منا جــداً . إن الصعو بات هى طريقة الله للاعتماد على كفايته الكلية القدرة، لا شيء فيها لا يمكن التغلب عليه، فقدرته قادرة على التغلب عليها ، والقصد منها أن تكشف لنا عن المصادر التى لولا هــذه الصعو بات لعشنا فى جهل مستمر بها .

يا لها من حياة مجيدة تكون من نصيب قراء هــذه الكلمات إن كانوا فقط يرتضون بأن يتنازلوا عن قوتهم الشخصية ، سواء كانت حكمة أو ثروة

أو مراكز رفيعة أو أي مصـــــدر من مصادر المعونة البشرية . إن كانوا يتعلمون بأن القوة الحقيقية هي أن يجلسوا هادئين صامتين عند مصدر كل قوة ونعمة ، وينالوا من ملئه ، ويمزجوا ترنيمة المزمور مع تأكيد الرســول المختبر « أحبـك يا رب يا قوتي » (مز ١٨ : ١) ، « أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني » .

الفصل السادس

« الحى »

(رؤ ١ : ١٨)

انتصار الحياة ، هـذه هى البشارة المفرحة للعهد الجديد ولا سيما لسفر الرؤيا . إلى تلك اللحظة كان أغلب البشر ، بمـا فيهم بعض قادة الجنس البشرى ، يعتقدون بأن الموت، والليل، والخراب، هى نهاية الحياة البشرية. عندما ندرس فلسفة الشعوب القديمة ندرك انه كانت لديهم أفكار غامضة جداً عما بعد الموت. كانوا يعتقدون بأن الانسان ولد ليموت، وان الأزهار لم تزهر إلا لـكى تذبل، وان مجد الربيع لا يبقى إلا الى ساعة عابرة، وان كل الأشياء كتب عليها أن تنتصر عليها عوامل الظلام التى تشن حرباً دائمة ضد الحياة والجمال والفرح .

وسط عالم كهذا أتت الأنباء بأن الحياة تعنى القوة القاهرة، وان الحياة منتصرة. وعندما تساءل الناس عن سبب هذا التصريح الأكيد المبهج جاءت الإجابة بهذا المعنى : لقـد عاش فى فلسطين شخص تحدّى الموت فى كافة أوضاعه . لقد حطمه بكلمته و بلمسته . لقد أرغمه على أن يعيد للشاب الحياة التى كان قد أخذها . لقـد أقام من القبور كثيرين ممن كانوا قد رقدوا فيها

طويلاً وانقطعوا عن عالم الأحياء . ومع ذلك فرغم انه كان يبدو أنه غير قابل للموت إلا انه هو نفسه خضع لسلطانه. وعندئذ بدا كأن الرجاء اللامع الذى لم تعمر به قلوب بشرية قط من قبل، قد كتب له اليأس القاتل. لكن هذا لم يكن إلا لبرهة وجيزة . فانه بعد ثلاثة أيام تبين أنه لم يكن ممكناً ان يمسك بالموت ، لأنه حطم متاريس السجن النحاسية ، وخرج ظافراً منتصراً على أعظم قواته . وعرّف أحباءه بأنه هو « الحى » ، وتحدث معهم كما كان يتحدث من قبل . وأعطى للتلميذ الذى أحبه رؤيا أخيرة مجيدة فى جزيرة بطمس قائلاً « لا تخف أنا هو الأول والآخر . والحى وكنت ميتاً . وها أنا حى إلى أبد الآبدين. آمين. ولى مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١:١٧و١٨).

كان هذا هو مصدر سعادة الكنيسة الأولى إذ آمنت أن فاديها حى ، وإذ توالت الأجيال لم تستطع ان تسلب من الكنيسة ايمانها. لقد كانت، ولا تزال، تحتفل بعيد القيامة بالترنيم والتهليل. وفى أحلك الأوقات كانت تحيي المخلص الحى بهذه الكلمات : « عندما غلبت شوكة الموت فتحت ملكوت السماء لجميع المؤمنين » .

مَن ذا الذى يستطيع ان يدرك عمق التعزية التى نتمتع بها ونحن نؤمن أن ربنا يسوع المسيح حى الى الأبد ، ولن يرى فساداً ؟

أولاً : هو حى ككاهننا الأعظم : كان هنالك نقص شديد جداً فى الكهنوت اليهودى، لان الموت منع الكهنة عن البقاء أحياء (عب ٧:٢٣). خالما كان رئيس الكهنة يصبح خبيراً بخدمته كان عليه ان يخطو خطوات

سابقه العظيم هارون، الذى مات على قمة جبل هور. « وأما هذا (أى الرب يسوع المسيح) فمن أجل انه يبقى الى الأبد فى كهنوت لا يزول، فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حى فى كل حين » (عب ٧: ٢٤و٢٥). يا له من جمال رائع فى هـذه الكلمات. عندما نأتى الى الله فاننا نأتى اليـه عن طريق حى (عب ١٠: ٢٠). ونحن يجب أن لا نترك مخدع الصلاة فى الصباح أو فى المساء دون أن نكون قد تأكدنا بأنه قد صارت لنا علاقة حيـة بالله الحى نفسه. إن الصلاة حديث مباشر شخصى مع صديقنا الحى،وهذا يقيناً هو الاختبار السعيد للحياة المباركة: ان ندرك بأنه لا يوجـد فاصل بين الله والنفس، وأن نكرر مراراً وتكراراً عهود اولاء والإخلاص.وهذه لا تقع على أذن صماء بل على أذن من يسرع لإستجابة أقل طلبة تصدر من قلب مخلص واثق.

ثانياً: وهو حى كمصدر حياتنا: «انى أنا حى فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩). هو حياتنا. لنا الحياة هى المسيح (فى ١: ٢١). إن ابن الله يحيا فينا، وهكذا « تظهر حياة يسوع ايضاً فى جسدنا المائت » (٢كو ٤: ١١). وكما كان الزيت المقدس يسرى عن طريق الأنابيب الذهبيـة ليغذى سراج الهيكل قديماً هكذا تسرى حياته لتغذى أرواحنا عن طريق ايماننا.

طوبى للذين يموتون عن حياتهم، الذين يتجاهلونها وينكرونها، لكى تجد حياة يسوع المجال الكافى لتعمل فيهم وتخلق فيهم الحياة الكاملة بمجدها وجمالها. إن ينبوع الحياة عنده، فليتنا نلجأ دواماً لهذا الينبوع.لا داعى لكى

نقلق بصدد تقدم حياته فينا طالما كنا نميت حياتنا ، ونطيع كل إيحاءات حياته التى تتوق دواماً إلى أن تظهر فينا فى كمالها . سلم حياتك له تسليماً كلياً لكى يحيا فيك ، الى ان يحى جسدك المائت ويقيمه فى مجد القيامة .

ثالثاً : وهو حى لكى يقود الأجيال بكل إمكانيات الحياة : لا نقدر أن نعرف ماذا ينتظرنا من مجد وبركة وغبطة، لكننا نعرف فقط أن المسيح حدثنا ليس فقط عن الحياة ، بل ايضاً عن الحياة الأفضل . وهو أخبرنا بأنه سوف يقتادنا الى «ينابيع ماء حية» (رؤ ٧:١٧). حدثنا أحد القديسين بأنه رأى فى حلم محيط الحياة يكتسح مياه الموت السوداء الى الابد. ومن ذا الذى يستطيع ان يدرك سعة هذا المحيط أو عمقه ؟

يقيناً انه لن يهدأ حتى يوسع مدار كنا اندرك ملء حياته، ويوسع قلوبنا لنتقبل ملء حياته . نحن أشبه بفراخ العصافير التى خرجت من البيض مباشرة، مضطجعة فى عشها، نتعاطى فقط ما يقدم الينا، ونجهل تماماً قدرة التحليق التى بها نستطيع ان نحلق فى الجو ، لكن سوف يأتى الوقت الذى فيه نتقبل ملء حياته ، ونحيا معه الى الابد .

والى أن يحين ذلك الوقت يجب ان نأكل جسده ونشرب دمه، نتأمل فى كلامه وفى موته عنا، لكى بهذا تثبت حياته فينا ، ونحيا نحن به. الى ان يبتلع المائت من الحياة (٢كو ٥:٤). ولنكن واثقين من أن حياتنا الروحية لن تتلاشى — مهما جازت المحن والتجارب — لأن ضامنها :

حى إلى الأبد

الفصل السابع

« يحب »

(رؤ ١ : ٥)

يا لعمق المعنى الذى تحمله هـذه الكلمة التى التقطها يوحنا الرسول من أفواه المرتلين فى السماء ، والتى يفتتح بها سفر الرؤيا ، والتى يمكن أن نقرأها « الذى يحبنا » أى بصيغة الحاضر. إن محبة الرب يسوع لخاصته حاضرة الى الأبد ، هى محيط فى ملئه ، ولا يعتوره مد وجزر ، ولا ظل دوران .

طبيعى انه أحبنا، وحملنا على قلبه قبل تـكوين العالم. من أجل محبته لنا أخلى نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . نعم ، وهو سوف يحبنا محبـة العريس للعروس فى تلك العصور الذهبية التى سوف نقضيها معه ، التى تبدأ من عشاء العرس وليست لها نهاية . لـكن أثمن فـكرة هى أنه يحبنا الآن. إن كان قد أحبنى عندما بذل نفسه لأجلى فيقيناً انه يحبنى اليوم بنفس المحبة لأنه هو هو اليوم (فى الوقت الحاضر) ، وأمساً (فى الوقت المـاضى) ، والى الابد (فى المستقبل) . لم يتغير ، ولن يتغير . إن مرور الأجيـال لا يمكن أن يؤثر على محبته، أو يقللها، أو يضعفها « وأما هذا فمن أجل انه يبقى الى الأبد فى كهنوت لا يزول » (عب ٧ : ٢٤) .

نحن نميل الى الحكم على محبة المسيح لنا من درجة تقديرنا لها وتمتعنا بها . من السهل علينا أن نؤمن بها عندما نكون حارين فى الروح أصحاء ، عندما يكون الجو صافياً، والهواء منعشاً، والشمس مشرقة، أو عندما نكون فى طاعة كاملة وفى شركة قوية . فى مثل هذه الظروف لا يحتاج الأمر الى مجهود كبير لكى نتأكد من محبة المسيح، لكن عندما يتلبد الجو بالغيوم، ويصبح الطريق شائكاً ، عندما يكثر الذين يضايقوننا ، وتأتى الضيقات متوالية، عندما نحس بالسقوط وبالخطية ، فلا يكون طبيعياً ان ندرك محبة المسيح غير المتغيرة . لكن كما أن حرارة الشمس لا تتغير فى أى فصل من فصول السنة فان محبة المسيح لا تتغير عند أى تغيير يحدث فى أنفسنا . إن قدرها ثابت لا يتغير ، وخطايانا لا يمكن أن تنقصها ، وبرودتنا أو إهمالنا لا يمكن أن يقللها . هى ينبوع دائم الفيضان، لا تتجمد مياهه ، ولا تقل فى وقت الجفاف ، ولا تنضب بسبب مطالب الأجيال .

أيها القارىء العزيز ، اكتب هذا على ألواح قلبك : انه لا خطية ، ولا ضيق ، ولا عمق ، لا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، تقدر أن تؤثر على ملء وثبات محبة المسيح لك .

إن كان المؤمنون يتمسكون بهذه الحقيقة، ويتجرأون ـ ضد مشاعرهم ـ على أن يؤمنوا بمحبة الله ويؤكدونها لأنفسهم ، فانهم يثبتون فيها الى حد لايستطيع عدو النفوس أن يزحزحهم عنها . إن كنت أشعر بالضيق، كما لو أن الله قد تركنى ، لكن الواقع أن الله يحبنى. إن كنت أتحسس الطريق فى الظلام فالله يحبنى . إن كنت قد سقطت فى الخطية، ولست أفضل من

الآخرين، فالله يحبنى. إن كنت أجوز ظرف تأديب قاس، فان هذا يزيدنى تأكيداً بأن أبى الذى فى السموات يحبنى . هــــذا هو سر الصرة ، وسر الراحة .

لقـــد أمرنا الرب بأن نثبت فى محبته « إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما انى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته» (يو ١٥:١٠).وطبيعى ان معنى هذه العبارة « تثبتون فى محبتى » اننا نثبت شاعرين بمحبته. هنالك فرق بين وجـودنا فى النور و بين أن نعرف بأننا فى النور . اننا كلنا نعيش فى نور محبـــة المسيح ، لـكننا لسنا كلنا نتمتع بهذا كاختبار حى عملى . « واحفظوا أنفسكم فى محبـة الله » (به : ٢١) . أى تعودوا على أن تشعروا بمحبة الله من نحوكم.

هنالك سبع قواعد ذهبية للحصول على هذا الشعور واستمراره فينا :

(١) لا تغادر مخدع الصلاة فى الصباح دون أن تدرك إدراكاً واضحاً بأن « الآب نفسه يحبك » (يو ١٦:٢٧).

(٢) أطلب من الروح القدس (الذى يسكب محبة الله فى القلب والذى يذكرنا بكل شىء) بأن يعينك على أن تسمع همسات صــوته الهادىء الخفيف ، الذى يذكرك دواماً بأن الله يحبك .

(٣) تقبل كل الاشياء الجميلة (الكلمات الرقيقة،والاعمال الرحيمة، وأشعة الشمس، وتغريد العصافير، ورائحة الزهور) كعلامات لمحبتــه ، وتطلع اليه مبتسماً إذ تقول « أشكرك يارب ».

(٤) تجنب كل ما لا يتفق مع مركزك كابن محبـــوب لله ، كل تبرم واحتداد وغضب ، كل كلمة ردية وكل عمل غير كريم .

(٥) تمم أحقر الأعمال وأتفهها من أجل محبة الله ، كمن يشعر بأن تلك المحبة تحصره ليعيش لا لنفسه بل لله . وليكن هدفك الوحيد هو أن تفعل كل شيء كمن يحبه الله .

(٦) أطع كل وصية تجدها على صفحات الـكتاب المقدس «الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى . وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (يو ١٤ : ٢١) .

(٧) أخلق فى نفسك روح محبة الجميع والعطف على الجميع بدون غرض « من يثبت فى المحبة يثبت فى الله ، والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦) .

ونحن إذ نتأمل ونتعمق فى محبة الآخرين نزداد إدراكاً لمحبة الله لنا.

قال مخلصنــا « الآب يحب الابن » (يو ٥ : ٢٠) . إن كان الذين جاء ليخلصهم لم يحبوه ولم يرحبوا به فقد كان الآب يحبه ، وقبيل مغادرته للعــالم كان أطيب ما تمناه لنا ان نتمتع بالمحبة التى أحبه الآب بها ، فلنحرص على ان لا نخسر ميراثنا بتغافلنا واهمالنا، بل لنحيي فى جمال هذه الحقيقة وهى ان الله يحبنــــا

الفصل الثامن

« يملك »

(رؤ ١٩ : ٦)

إن سفر الرؤيا مرآة صادقة للحياة البشرية وللتاريخ، ويخيل للمرء أنه واقف فى ساحة حرب فسيحة ، يحيط به من كل ناحية جنود مسلحون مشتبكون فى حرب مميتة مع قوات جهنم ، تملأ الجو صرخات المظلومين والشهداء. لكن وسط هذه الأصوات ترتفع دواماً أصوات الترنيم الحلوة من شفاه المفديين والمنتصرين، التى تشدد الضعيف، وتقوى عزائم الخائر القوى، وتعلن علامات نصرة السماء النهائية . هذه الأصوات ترن فى آذاننا وقلوبنا مرددة الكلمات التى أمامنا الآن «وسمعت كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة قائلة هللويا فانه قد ملك الرب الإله القادر على كل شىء » (رؤ ١٩ :٦).

ان الاصحاحات السابقة مليئة بالأحزان والضيقات . لقد أطلق نداء الحرب فى العالم ، ولا بد أن تلقى الكنيسة المرتدة مصيرها ، وكما يرفع ملاك قوى حجراً كرحى عظيمة ويرميه فى البحر هكذا ترمى بابل المدينة العظيمة ولن توجد فيما بعد (رؤ ١٨ :٢١).وإذ تغوص بلا رجعة، وتلقى مصيرها،

يسمع صوت عظيم من جمع كثير فى السماء قائلاً « هللويا »، « وقالوا ثانية هللويا »، « وخر الاربعة والعشرون شيخاً والاربعة الحيوانات قائلين آمين هللويا » . وبعد ذلك يخرج من العرش صوت وحيد طالباً تسبيحاً آخر ، ويقول يوحنا انه إجابة لهذا « سمعت كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديدة قائلة هللويا فانه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء » (ص ١٦:١—٦).

نعم هنالك دواماً صوت تسبيح قائلاً « هللويا » حيثما يملك الرب،وبعد قليل سوف نشترك فى تلك الترنيمة،ترنيمة الغلبة والانتصار،وكلما حل صباح جديد قرّب الينا ذلك اليوم. لكن لا حاجة بنا لننتظر ذلك اليوم الذى نسمع فيه هتاف «هللويا» فى السماء فى المجد،فاننا نستطيع ان نسمعه هنا ين على الارض.نستطيع ان نسمعه متصاعداً من قلوب المفديين التى تعلمت بأن ملك يسوع محفوف دائماً بهتاف هللويا . بل ان العهد القديم نفسه يعلمنا هذا فى ثلاثة مزامير خالدة ، تكاد تكون مدوّنة فى صحيفة واحدة ، هى مز ٩٣و٩٧و٩٩. يعلمنا المزمور الاول ملكه على الطبيعة.اننا نستمع الى هجوم الامواج ، أمواج البحر العظيمة، لكن الرب فى الاعالى أعظم من أعظم قوة « الرب قد ملك هللويا » .

ويعلمنا المزمور الثانى ملكه على البشر . فان أعداءه يعترفون بملكه . إن اكثر الناس بلادة وتمرداً يخضعون لمقاصده « يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الارض » (دا ٤:٣٥) . يدبر البشر خططهم كما يشاءون ، لكنهم انما « يفعلون كل ما سبقت فعينت يد الله ومشورته أن يكون »

(اع ٤:٢٨). ونحن إذ نتأمل فى حقيقة مجد ملكه ـ مهما تنكر له رعاياه ـ نهتف مرة أخرى قائلين « الرب قد ملك هللويا » .

ويعلمنا المزمور الثالث ملكه على القديسين « الرب عظيم فى صهيون » يعترف القديسون برئاسته العظمى على الكنيسة ، وإذ يتطلعون الى فوق، الى ذاك الذى يرشدها فى طريقها ، و يتولى إدارتها ، دون أن يتأثر بمنازعاتنا وانقساماتنا ، فانهم يهتفون ايضاً قائلين « الرب قد ملك هللويا » .

لكن يقيناً ان هذا كله يتوقف على اختباراتنا الشخصية . فنحن لم ندرك الفرح الحقيقى قط إلا بعد أن ركب المخلص،الوديع المتواضع القلب، منتصراً، ودخل كملك الى قلوبنا . قبل تلك اللحظة كانت أفكارنا منشغلة فى التمرد والعصيان ، فى اختبارات الفشل المرة، فى شعور مرير بحالة الثورة الداخلية التى لم نستطع قمعها ، لكن عندما دخل ليقيم ملكه انبعث من داخلنا الهتاف « أوصنا » ،كأن أصوات الملائكة هتفت لنا قائلة « ابتهجى جداً يا ابنة صهيون . اهتفى يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتى اليك » (زك ٩ : ٩) .

آه ، إن خداع الشيطان قد نجح كثيراً إذ جعل الناس يعتقدون بأن ملك المسيح يعنى البؤس والحرمان، ولأن الكثيرين قد صدقوا هذا الضلال فقد أبعدوا أنفسهم كلية عن هذا الملك، أو أخضعوا جزءاً قليلاً من كيانهم لملكه المبارك، إذ أعطوه المحيط الخارجى فقط ، أما القلعة فقد احتفظوا بها لأنفسهم . أما الذين عرفوا كيف يسلمون كل كيانهم لملكه ، فقد عرفوا

انه كلما ازداد ملكه ازداد السلام ، وانه لا نهاية لملكه ولا نهاية للسلام (اش ٩:٧).

ليت الذين يحيون حياة كئيبة مرّة يخفضون راية العصيان، ويرحبون بالملك المؤسس ملكه على كهنوته، ملكي صادق الحقيقي ، الملك الكاهن. واذ يدخل ملك المجد الأبواب الدهرية، ويرفرف علمه على قلعة الارادة ، يرتفع الهتاف « هللويا فانه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء ».

ليس عليك إلا أن تفتح له الباب،وهو كفيل بأن يخضع كل قوة وكل سلطان، ويستأسر كل فكر، ويخضع الطبيعة المتمردة.

أذكر بأنه قادر على كل شيء. قادر أن يغلب، قادر أن يحفظ، قادر أن يملك. عندئذ تصبح الحياة هتافاً مستمراً، يزداد عمقاً وحلاوة بازدياد السنين. لا يزعجنا أى حادث أو يربكنا، لاننا سوف نرى يد ملكنا فى كل حادث. وسواء سبب لنا ألماً أو فرحاً، سواء كانت السماء صافية أو ملبدة بالغيوم ، فاننا نستطيع ان نهتف :

« هللويا فانه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء »

الفصل التاسع

« يعلم »

(١ يو ٢ : ٢٧)

كانت كلمة صادقة تلك التى نطق بها النبى عندما قال « كل بنيك تلاميذ الرب. وسلام بنيك كثير » (اش ٥٤ : ١٣). يقيناً ان مقدار السلام الذى نتمتع به يتناسب الى حد كبير مع مقدار التعليم الذى نتلقاه من الرب، ونطبقه على حياتنا.

جميل جداً ان نلاحظ عامل التعليم المباشر من فم الرب فى هذه الآية. لا يوجد تعليم يقارن بتعليم الأب لابنه، فالمدرس فى المدرسة يميل الى أن يقدم تعليمه بطريقة آلية إذ ينظر الى تلاميذه كمجموعة عقول يجب أن يحشيها بالعلوم لإعدادها للامتحان، لهذا فانه يجد جاذبية خاصة نحو التلاميذ الذين يستجيبون لتعليمه كما تستجيب الارض البكر لأقل حفر يحفره المحراث وتعطى محصولاً وفيراً. كما أنه يصغر من شأن التلاميذ الذين قد يكونون أغبياء لأنهم يحتاجون الى طعام أفضل، أو لأنهم أغبياء بالطبيعة. إن الفتاة الصغيرة المجهدة بسبب العناية بطفل حديث الولادة، والتلميذ القليل الفهم، والولد الشارد الفكر، والولد المهلهل الملابس النحيف البنية بسبب الفقر الشديد — هؤلاء كثيراً ما أعطيناهم عناية ضئيلة جداً. أما الأب فانه لا يحابى

أى واحد من أولاده، كذلك فان قلب الله يحنو على الجميع. كل بنيه يتعلمون. هو يعنى الجميع على حد سواء، بل لعله يبذل عناية أوفر مع الاغبياء، فيقدم الدرس بطرق اكثر ملاءمة لكى يتناسب مع كفاءتهم. إنه يبـــذل عناية خاصة لكى يجعلك تعرف إرادته، وإن لم تفلح معك هذه الطريقة استخدم أخرى « أمراً على أمر . فرضاً على فرض . هنا قليلاً هنـــاك قليلاً » (اش ٢٨ : ١٣) .

اننا كثيراً ما تعلمنا عن طريق التأديب : كما يقول المرنم حقاً « طوبى للرجل الذى تؤدبه يارب وتعلمه من شريعتك» (مز ٩٤ : ١٢). قد لا تكون هنالك حاجة كثيرة لهذا التأديب إذا ما تعلمنا الدرس بالطرق الأسهل التى يقدم الينا بها، فالتأديب يستخدم عندما تفشل كل الطرق الأخرى، لكن يقيناً انه صحيح أيضاً بأنه توجد بعض الدروس التى لا نتعلمها إلا عن طريق الآلام. إن أكثر المؤمنين تعلماً هم عادة الذين جازوا بوتقة الآلام. إن كنت تصلى لكى تنال معرفة أوفر عن المسيح فلا تعجب إن كان ينحيك فى مكان مقفر، أو يجيزك فى بوتقـــة الآلام، وعندما يريد الله أن يطبع طابعاً خاصاً على أى انسان فانه يجيزه فى الفرن .

وعلى أى حال فانه لا توجد آية اكثر وضوحاً واكثر بركة فى تعليمها عن هذا الموضوع من الآية السابق الاشارة اليها فى رأس هـــذا الفصل : « المسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عن كل شىء وهى حق » ولا شك أن النفس المطيعة

الممتلئة محبة لا تحتاج إلى معلم سوى الرب نفسه. إذا ما أوكلت اليه مهمة تعليم الحياة الداخلية فانه يتكفل بأن لا يترك شيئاً يحتاج الأمر إلى تعلمه، ولا يضيع وقتاً فى دروس ثانوية أو فى دراسات لا حاجة لها. إن المؤمن الذى يتلقى تعليما خاصاً من المخلص ليس أقل علماً ممن يتعلم فى أرقى مدارس الكنيسة. نعم، وعندما يعلّم المسيح فانه لا يطالب بأى أجر أو بالمصروفات المدرسية. إنه يطالب فقط بالاستعداد لإطاعة وإتمام كل حقيقة جديدة يقدمها، ونحن إن كنا فقط نطبق الحقائق التى يقدمها الينا فلا تبقى حدود للتعليم المبارك الذى يعاملنا إياه. فمن ذا الذى يعلّم مثله ؟

هنالك ثلاث نواح نشير اليها فى الختام :

(١) المسيح يعلم بالروح القدس : « المسحة التى أخذتموها » ، أى مسحة الروح القدس. يشير الزيت فى الكتاب المقدس الى الروح القدس، فالزيت الذى سكب على رأس هرون ونزل إلى طرف ثيابه كان يشير إلى الروح القدس، والرب يحل فى قلوبنا بالروح القدس، ويعمل فينا بالروح القدس. شكراً لله لأننا قد نلنا الروح القدس، وإذ حلّ الروح القدس فانه لا يمكن أن يغادر المكان «المسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم». ومع أن الروح القدس لا يمكن أن يترك القلب إلا أننا قد نطفئه أو نحزنه، الأمر الذى ينتج عنه خسارة جسيمة جداً لنا. فلنخضع له لكى يملأنا قوة.

(٢) وهذا التعليم داخلى: لا شك فى ان هنالك دروساً كثيرة نتعلمها من اعمال العناية الإلهية، ومع ذلك فان معنى الحوادث الخارجية يبقى غامضاً إلى

ان يوضح الروح القدس اللغز (مز ٤٦ : ٤) . لهذا فان هذا التعليم هادىء ، وخفى ،حتى ان الكثيرين من المدققين يظنون انهم لم يتلقوا أى تعليم إذ تمر الأيام، ولكن عندما تحل أزمنة شديدة، أو تجربة، وتستخدم النفس قوى كان يبدو أنه غير ممكن الوصول اليها ، عندئذ تتكشف سريعاً تلك النتائج التى كنا نحصل عليها ببطء فى الأيام السالفة .

(٣) والغاية الرئيسية لهذا التعليم هى ثباتنا فى المسيح : « كما علمتكم تثبتون فيه » . هنا يبدأ كل تقدم روحى، و يستمر، و يثمر . إذا انقطعت الصلة عن المسيح لا نقدر أن نفعل شيئاً ، أما إذا ثبتنا فيه فاننا نشترك فى أصل حياته المجيدة ودسمها (رو ١١: ١٧) ، و يفيض فينا كل ملئه تدريجياً. فلا عجب إذاً إن كانت كل غاية تعليم الروح القدس تتجه هذا الاتجاه، ونحن نحسن صنعاً إن أجهدنا أنفسنا ليزداد محصول دراستنا فى هذه الناحية المباركة ، ونتعلم كيف نثبت فى المسيح، لأن هذه هى السماء. هكذا ينتظر الله لكى يُعلِّم كل واحد منا نحن أولاده الصغار «إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم. إن طلبتها كالفضة و بحثت عنها كالكنوز. فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله » (أم ٢: ٣ — ٥) .

الفصل العاشر

« يعزي »

(٢ كو ١ : ٤)

يا لهـذه الكلمة ! لدى مجرد سماعها نستمع إلى موسيقى عذبة ، وليس فينا شخص واحد لا يقـدّر معناها وقيمتها . فى نبوات إشعياء يدعو الله آخرين ليعزوا شعبه ويطيبوا قلوب مختاريه ، أما هنـا فيتحدث عنه الرسول على أساس أنه هو المعزى الوحيد لقديسيه ، كأنه قد رفض ان ينتظر اليوم الأخير الذى فيه يمسح كل دمعة من عيوننا ، وتقدم ليعزينا كما تعزى الأم إبنها.

إن محبة الله لنا أرق من محبة الأم ، وأقوى من محبة الأب . فى البـدء كانت فيه كل محبة قبل أن تشرق فى أى قلب بشرى . إن المحبة التى تشتعل بقوة فى قلوب كل الامهات فى كل العالم إنبثقت أولاً من قلب الله ، وهو الذى يبقيها مشتعلة ، ولذلك فان المحبة التي تكتشف بسرعة بكاء الطفل ، وبسرعة تسكت بكاءه ، وبسرعة تكتشف ان فيـه شيئاً يزعجه ، وبسرعة تستخدم كل الطرق التى بها يكف عن البكاء ، احياناً بلمسة رقيقة، واحياناً اخرى بغناء شجى — هذه المحبة هى فى قلب الله الكبير ، وهى تنتظر حتى تعانقنا عناق العطف والاشفاق والتعزية .

لقد اختبر الرسول بولس هذا مراراً كثيرة. وعندما يتحدث الينا عن اختباره في هذا الصدد نحس بأننا نصغى إلى شخص يعرف ما يتحدث عنه . قليلون هم الذين تألموا اكثر منه منذ اللحظة التى فيها ترك كل شىء من أجل المسيح إلى الساعة التى فيها مات شهيداً من أجل الايمان . لقد عانى كثيراً من الآلام بسبب تشاحنه مع أصدقاء قدماء ، فضلاً عن الامراض الجسدية التى أصابته، وحرمانه من كل وسائل الراحة بسبب أسفاره المستمرة ، الاهتمام بكل الكنائس ، مقاومة الاخوة الكذبة . وكل رسالة من رسائله تحمل بعض الأدلة على الآلام الشديدة التى كانت تمرر قلبه الرقيق، ومع ذلك نراه يقول الله يعزينا . «الذى يعزينا فى كل ضيقتنا حتى نستطيع أن نعزى الذين هم فى كل ضيقة بالتعزية التى نتعزى نحن بها من الله » (٢ كو ١ : ٤).

هنالك طرق كثيرة يعزينا بها إله كل تعزية . فى بعض الاحيان يرسل شعاعة من العزاء إلى القلب المثقل بالاحزان ، وذلك عن طريق آية من الكتاب المقدس مطبوعة على بطاقة تصل إلى أيدينا ، أو أرسلها الينا أحد الاصدقاء . فى احيان اخرى ترن فى ذاكرتنا فقرة من الكتاب المقدس ، فتجد فيها النفس تعزية ليست بقليلة . فى بعض الاحيان تصل إلى أيدينا هدية تبين لنا أن هنالك من يفكر فينا بروح العطف والإشفاق ، فنقدرها ليس من أجل قيمتها فى حد ذاتها ، بل من أجل المحبة التى دفعتها الينا، والتى هى علامة على محبة أرق منها تكمن وراءها . فى بعض الاحيان يأتى إلى بيتنا صديق لم نكن نتوقعه ، بوجهه المشرق ، وعندما يمسك اليد للتحية يُشعرنا بحرارة محبته ، فنجد تعزية من الله بمجىء تيطس (٢ كو ٧: ٥و٦).

لا يمكن ان يمر يوم مظلم ، أو حادث مؤلم ، دون ان يبعث الله خلاله شعاعة من التعزية ، بل يرسل التعزية التى قد لا تكفى لإزالة الآلام التى نحتاج اليها كتأديب ، لكنها تكفى لكى تحفظنا وسط الآلام .

فلننتظر أشعة التعزية التى يرسلها الينا الله . لا يمكن أن يحل بنا حزن دون ان يكون مقترناً بالتعزية ، لكننا كثيراً ما تمادينا فى الحزن حتى فقدنا التعزية . كثيراً ما تملك علينا روح اليأس حتى أُمسكت عيوننا عن ان ترى الملاك منتظراً بجانبنا . كثيراً ما حصرنا كل تفكيرنا فى الحزن حتى اننا أغفلنا النظر عن كل شيء آخر ، وهكذا يغيب النور من الافق دون ان نلاحظه ، وينسحب المرنم الحلو الذى أتى لانعاشنا ، وذلك لاننا لم نرحب به .

فى بعض الاحيان يبدو أنه سر غامض لماذا نعانى كل هذه الآلام التى نرزح تحتها ؟ لماذا تطير ثروتنا امام اعيننا ؟ لماذا نجرب فى بيوتنا إذ يدخل اليها ملاك الموت ؟ لماذا نجرب فى اشخاصنا فالجسد يعتل والقلب يتمزق ؟ وفى نفس الوقت نرى اشخاصاً آخرين لا يعانون هذه الآلام ، مع انهم ليسوا من ذوى الشخصيات النبيلة . لكن لنعلم بأنه لم تظهر صورة عظيمة دون ان تتخللها بعض الظلال على الشاشة التى رسمت عليها ، ولم ينبغ موسيقى أو شاعر دون ان يكون قد عانى أولاً بعض الآلام . على ان هناك سبباً اعمق ، فالبعض منا قد سُمح لهم ان يجوزوا كل انواع الضيقات لكى تكون لله الفرصة ليعزينا ، ولكى نتعلم فن التعزية الالهى حتى نستطيع ان نعزى الذين هم فى كل ضيقة بالتعزية التى نتعزى نحن بها من الله (٢ كو ١ : ٤) .

ألا تكفى هذه الفكرة لتعزيتنا عندما نجتاز أى نوع من الألم فيما بعد؟ إن الشيء الوحيد فى الآلام الذى يجعلها فى بعض الاحيان لا تحتمل هو أنه يبدو عليها أنها بلا هدف. لماذا أتألم هكذا؟ ماذا فعلت؟ أصمتى أيتها النفس المتذمرة، فانك قد دخلت مدرسة الآلام الإلهية لغرض خاص، إحرصى على أن تلاحظى الآن كيف يعزيك. لاحظى طرقه. أنظرى كيف يضمد النفس الكسيرة بلمسة رقيقة جداً، وكيف يضع الرباط بغاية الإحكام.

تذكر أيها المؤمن، كل آية من الكتاب المقدس يوحى اليك بها، واكتب كل هذه الآيات لكى لا تنساها. سوف يأتى الوقت فى حياتك حينما تدعى لتعزى شخصاً آخر يجوز نفس تجربتك. لقد سمح لك بتجربتك الخاصة لأن التجربة التى سوف تدعى لتواسى من يعانيها تجربة فريدة غير عادية، ولأن تعزيتك سوف تكون مطلوبة. لو لم تكن قد جزت أنت شخصياً الآلام لوقعت فى حيرة تامة أمام صعوبة المهمة التى تواجهك، لكنك من الان سوف لا تجد أية صعوبة. عندما يأتى اليك الشخص المجرب، ويكشف لك حزن قلبه، متوهماً أن حزنه فريد وغير مفهوم، فانه سوف يجد تعزية إذ يسمع بأنك قد جزت نفس هذا الطريق المظلم، وسوف تكون أنت قادراً على أن تبين له الطريق الذى عزاك الله به خطوة فخطوة.

أيها الخدام الذين تتوقون إلى أن تكونوا مقتدرين فى خدمة النفوس المتألمة، لا تتعجبوا إن كان تدريبكم طويلاً ومكلفاً. كونوا مستعدين أن تدركوا بأن الله يعلمكم كيف تعزون الاخرين بأن يسمح لكم أولاً بالالام، ثم يعطيكم التعزية الكافية لتسكين الآلام. لا يستطيع أى لسان أن يعبر

عن رقة الله ، وليس علينا إلا أن نتقـــدم اليه ، ونكشف له حزن قلوبنا ، وسوف نجد تعزية فى مجرد التحدث اليه عن آلامنا .

وعلاوة على هذا فاننا سوف نجد أن يد الله الرقيقة الرحيمة سوف تمتد ملطفة آلامنا ، وبذلك نستطيع أن نحتملها . والله لن يتعب بسبب تنهداتنا وأنيننا فى آلامنا ، أو لسبب طول مدتها ، فهو متمهل بجانبنا طول السنين . هو «لا يكل ولا يعيا» (إش ٤٠:٢٨). ولنثق فى كل ساعة مهما أظلمت ، وفى كل طريق مهما كان شائكاً ، بأن الله

« يعـــــــــزينا »

الفصل الحادى عشر

الرعاية السامية

(يو ١٠: ٣ و ٤)

يستمد التشبيه هنا من حظيرة فى احد الأودية، حيث يستريح القطيع فى ساعات الظلام، يحفظها من اللصوص نائب الراعى (البواب)، ويحفظها من الذئاب السور المحيط بالحظيرة.

أخيراً يأتى الصباح، ومع الصباح يأتى الراعى. إنه يأتى إلى البـاب، والبواب يعرف خطواته، ويعرف صوته، ويعرف طريقة قرعه على الباب، فيفتح له الباب دون أقل تردد. أما الخراف نفسها، فانهـا تعطى علامات واضحة على انها هى ايضاً تعرف بأن راعيها الحقيقى قد أتى « لأنها تعرف صوته ».

عندئذ يبدأ الراعى بأن يدعوها بأسمائهـا للخروج. لقد أعطى لـكل منها إسماً خاصاً، وكثيراً ما كانت هذه الأسمـاء متمشية مع أية مميزات فى شكلها، وإذ يدعو الأسمـاء فان حاملة كل إسم تخرج فخورة لأن الراعى ناداها باسمها، ويجتاز من بين الخراف المزدحمة إلى حيث ينتظرها الراعى «فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها»، وبعد ان يخرج الراعى كل القطيع

من الحظيرة يذهب امامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته ، واما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء . ويقال ان المنازعات عن ملكية الخراف فى الشرق لا تزال يفصل فيها بوضع القطيع فى حقل فسيح ، وتكليف الخصمين المتنازعين بندائه من ناحيتين مختلفتين ، والمقرر الثابت ان الخراف تسير متجهة نحو الناحية التي يوجد فيها الراعى الحقيقى .

هذا كله يوضح لنا بتشبيه رائع — تصرفات المخلص معنا . مَنْ منا لا يعرف شيئاً عن الأمن والراحة التى يجدها فى الحظيرة ؟ ذلك البيت الذى يجد فيه الهدوء والراحة والأحباء الأعزاء ، لكننا قد لا نستريح فيها طويلاً ، فالأعشاب المحيطة بالحظيرة قد تنفد سريعاً ، وبعضها يتلف من وقع أقدام الخراف المستمر ، لذلك يأتى الراعى الصالح اخيراً ليخرجنا من الحظيرة إلى الجبال حيث نستمتع بالنسيم العليل والحياة الغنية.

هذا ما يحدث كل يوم . فالرب يسمح بالتغييرات التى تحدث فى حياتنا ، وتتكرر بصفة مستمرة ، تلك التى تفرق العائلة ، وتحطم العش ، وتهدم خططنا ، وتدفعنا إلى اختبارات جديدة نخشاها . لكن وسط هذه التغييرات يقف بجانبنا الراعى الصالح بشخصه ، ذلك الذى لا ينعس ولا ينام .

«يدعو خرافه الخاصة بأسماء» . يجدر بكل منا ان يوجه لنفسه هذا السؤال : هل أنا واحد من خرافه الخاصة ؟ إن كانت بالايجاب كان معنى هذا اننا نتمتع ببركات غنية لا يعبر عنها . لا يستطيع لسان بشرى أو عقل إنسان ان يتحدث عن كل ما يفعله الرب يسوع المسيح لخرافه الخاصة. لقد سلمهم الآب اليه منذ الأزل ، لقد خلصهم من الذئب بسفكه دمائه ،

لقد منحهم حيـــاة أبدية فلن يهلـكوا ، لقد أصبحوا محفوظين فى يده فلن يخطفهم إنسان أو شيطان ، إنه يعرفهم جيداً ويحبهم محبـــة لا نهائية ، هو يُدخلهم ليستريحوا ويُخرجهم ليعملوا . والأمر المؤكد أن الراعى الصـالح يعرف كل واحد منا معرفة شخصية كاملة . إنه يعرفنا بأسمائنـا .

فى تيه بنى إسرائيل فى البرية تحدث الرب القدير لموسى بكلمات تبـدو لى أنها تجمل معنى رائعاً أعمق مما تحمله فى مظهرها . « قال الرب لموسى هذا الأمر أيضاً الذى تكلمت عنه أفعـله ، لأنك وجدت نعمــــة فى عينى وعرفتك باسمك » (خر ٣٣:١٧). هنالك معان رائعــة فى هذه الكلمات لا يمكن التعبير عنها ، ولا يمكن أن يعرفهـا إلا الشخص السعيد الذى حظى بسماعها من فم الرب . يا لها من دالة ! يا له من شرف ومجـد ! لا يستطيع أحد ان ينادى أحداً باسمه إلا الصديق . وهل هنالك شرف أعظم من أن يكون المرء صديقاً لله نفسه ؟ هذا ما يتمتع به كل منا نحن الذين يعرفنا يسوع ويدعونا بأسمائنا .

تطلع إشعياء النبى إلى نجـوم السماء فشبهها بقطيع من الغنم مبعثرة فى الفضاء الواسع «إرفعوا إلى العلاء عيونـكم وانظروا مَنْ خلق هذه . مَن الذى يخرج بعدد جندها . يدعو كلها باسماء . لـكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يفقد أحد» (إش ٤٠:٢٦) . لـكن يقيناً أن شخصاً واحـداً ممن مات المسيح لأجلهم أغلى جداً فى عينيه من كل جند السماء ، وإن كانت النجوم آمنة هكذا ولا يفقد منها أحد لأن الله تعهد بحفظها أفلا نكون نحن آمنين ،

نحن الذين يدعونا بأسمائنا ؟ أيعقل أنه يدخل معنا فى علاقة مباشرة كهذه إن لم يكن قد قصد بها أن تنتج اتحاداً أبدياً ؟

هنالك علامة واحدة أكيـــدة للخراف الحقيقة : « تعرف صوته ». تستطيع أن تميز عـــذوبة الصوت من بين كل الأصوات الأخرى . وإذ تسمع تطيع .

«ويُخرجها» . قيـل فى سفر الرؤيا (١٧:٧) أن الرب فى السماء يرعى المفديين كقطيع « ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية » ، أى من ينبوع إلى ينبوع أعمق فى قلب السماء . هذه الخدمة المباركة هى نفس ما يجريه على الأرض ، فهو بصفة مستمرة يقتادنا ليخرجنا من القديم إلى الجديد ، من الأمور المألوفة إلى غير المألوفة ، مما قد حصلنا عليه إلى ما لم نحصل عليه بعد ، من الاختبارات والاعترافات التى أصبحت مألوفة إلى الإمكانيات الجيدة فى الحياة المسيحية. وهذه القيادة تتم بطرق رقيـقة جداً — بالظروف ، بالأصدقاء ، بالكتب ، بآيات من الكتاب المقدس . وعندما نطيعها ونتبعها نجد بركة عظيمة جداً . إن كنا فقط أمناء نحو أقل إشارة توحى بها لنـا إرادته فلن يكون هنالك اختبار فى الحياة المباركة لا يقودنا اليه الرب يسوع المسيح .

«ويُخرج خرافه الخاصة » آه ، هذه عملية شاقة له ولنا . إنها عملية شاقة لنا لنخرج ، وعملية شاقة له هو أيضاً أن يسبب لنا أى ألم . لكن هذا لا بد أن يتم . فان بقاءنا فى حالة واحدة مريحة لا يؤدى إلى خيرنا الحقيقى . لهذا فانه يخرجنا . يجب أن يحطم العش لكى تضطر صغار العصافير ان تجرب أجنحتها وتتعلم الطيران . لا بد أن تهجر الخراف الحظيرة لكى ترعى فى

سفوح الجبال المجاورة - يجب ان يدفع بالفعلة إلى الحصاد وإلا تلف محصول القمح الذهبي - تشجع ، فان بقاءك فى نفس المكان ليس لخيرك ، وإن كانت يد الرب الممتلئة محبة وعطفاً هى التى تخرجنا فلا بد أن يكون ذلك لخيرنا .

أيها الأخ الحبيب ، تقدم إلى الأمام — باسمه — إلى المراعى الخضراء ، وإلى مياه الراحة ، وإلى سفح الجبل .

«يذهب أمامها» ، إن كل ما ينتظرنا قد سبق أن واجهه هو أولاً ، كل صعوبة وكل مشكلة ، كل وحش مفترس وكل لص مجرم ، كل هوة فاتحة فاها وكل طريق خطر - إن عين الإيمان تستطيع دواماً ان تراه بجانبها ، وإلا فمن الخطر ان تتقدم خطوة اخرى - اربط هذه التعزية الى قلبك : وهى ان المخلص قد جاز كل الاختبارات التى يطلب منك ان تجتازها ، وانه لن يطلب منك ان تجتازها إلا اذا كان واثقاً انها ليست اصعب مما تحتمل. هو يتقدمنا لكى يحطم الصخور التى امامنا ليمهد لنا الطريق ، وينتزع الاشواك ، ويدفع عنا الجماهير المزدحمة لكى يفسح لنا الطريق . وليس علينا إلا ان نتبعه .

هذه هى الحياة المباركة — لا تزعج نفسها لكى ترى الى مسافة بعيدة ، لا تهتم بالخطوة التالية ، لا تضطرب لكى تختار الطريق ، لا تتثقل بمسئوليات المستقبل الثقيلة ، بل تتبع الراعى بهدوء واطمئنان ، خطوة فخطوة .

الفصل الثانى عشر

إلهنا نار آكلة

(عب ١٢ : ٢٩)

يا لها من تعزية تحملها هذه الكلمات . لقد ملأتنا يوماً ما رعباً وفزعاً ، أما الآن فانها تحمل أنباء فرح عظيم .

على شاطىء البحر الأحمر كان موقف الجيش الواحد يختلف كل الاختلاف عن موقف الجيش الآخر باختلاف وضعه بالنسبة لعمود السحاب. كان الوقوف فى أحد الجانبين يعنى الرعب والفزع ، « لرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين» (خر ١٤ : ٢٤). أما الوقوف على الجانب الآخر فكان يعنى العزاء والرجاء ، « ودخل (عمود السحاب) بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل فكان من هنا غماماً مظلماً وكان من هناك ينير الليل» (خر ١٤ : ٢٠).

وهكذا يختلف الأمر معنا جداً بالنسبة لموقفنا بإزاء الله ، الذى يحدد معنى الكلمات التى صدّرنا بها هذا الفصل بالنسبة لنا ، فهو يحدد ما إذا كانت لنا مصدر عزاء أو مصدر اضطراب . إن كنا ضد الله ، « أعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة » (كو ١ : ٢١)، نخطىء ضد روحه القدوس

الرقيق العطوف ، فاننا لن نجد تعزية إذ ندرك بأنه نار آكلة . أما إن وقفنا بجانبه ، فى ظل يده ، مختبئين فى مخابىء الصخر ، واثقين من أننا ثابتون فيه، حق لنا أن نبتهج بفرح لا ينطق به ومجيد لأن إلهنا «نار آكلة».

ترمز النار فى الكتاب المقدس لطبيعة الله وصفاته ، فلقد اجتاز الرب بين قطع ذبيحة ابرهيم فى هيئة «مصباح نار» (تك ٥ :١٧)، وظهر لموسى فى البرية فى هيئة نار تشتعل فى العليقة ، ولا تحتاج الى وقود لاستمرار اشتعالها ، وعند إعطاء الناموس على جبل سيناء مثلت النار حضوره الإلهى، وكان قبول الذبائح فى العهد القديم يعلن بسقوط نار من السماء عليها، وأعلن ملاخى أن المسيح يأتى «مثل نار الممحص» (مل ٢:٣)، وعندما جاء يوحنا المعمدان معلناً مجيئه قال أن مجيئه هذا يشبه عمل النار التى تحرق وتطهر «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ... وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (مت٣: ١٢) وتمشياً مع هذه الطريقة الرمزية كان نزول الروح القدس يوم الخمسين مقترناً «بألسنة منقسمة كأنها من نار» (أع ٢:٣).

طبيعى أننا يجب أن لا ننكر أنه يوجد عنصر تأديبى ومفزع فى كل هذا لأن الإصرار على البقاء فى الخطية ليس أمراً هيناً ، فانه « فى نار لهيب يعطى نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح » (٢ تس ٣:٨). إن النار ، التى هى أنفع صديق لنا ، والتى تتعب وتعمل لأجلنا نهاراً وليلاً ، لا تضرنا قط ، بل هى تقدم الينا معونة كبيرة ، طالما كنا نطيع نواميسها ونراعى شروطها . لكننا عندما نخالف تلك النواميس وننقض تلك الشروط ، فان تلك التى كانت تبارك تبدأ بأن تلعن ، وتندلع نحونا

متلفة كل أعمالنا ، وتلتهم المزارع اليـــانعة ، وتجعل قصورنا أكواماً من الخرائب .

هذا هو الحال مع طبيعة الله . إنه رقيق ، ومحب ، طويل الاناة . أما اذا أصر الخاطىء على البقاء فى الخطية ، وأغلق عينيه نحو النور ، وقلبه نحو محبة الله ، فانه لا بد أن يدرك أن الله «مع الأعوج يكون ملتوياً »(٢صم٢٢:٢٧). « قبّـلوا الإبن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتقد غضبه » (مز ٢:١٢).

لـكن لنتأمل الآن فى بعض تلك النواحى الـكريمة التى تنطوى عليها هذه الـكلمات.

النـار فاحصة . يقيناً أن هذا من ألزم ما نحتـــاج اليه . إننا فى أسمى حالاتنا لا نخلو من محبة الذات ، ومن الخطية . فى بعض الاحيــان نرى لمحة عن حقيقة حياتنا فنحول أفكارنا بسرعة عن ذلك المنظر المرعب . وما لا نجسر أن نتأمل فيه نحن أنفسنا فاننا نحرص على أن نخفيه عن أقرب الناس الينا . آه ، يا للـكبرياء ، يا للغرور ، يا لمحبة الظهور التى نتصف بها . فى كثير من الاحيــان نستاء إذا لم نلق من الناس الاعجاب الـكافى ، وتداهمنا الغيرة والحسد إذا ما تفوق علينا شخص آخر ، وتصل بنــا الدناءة إلى حد أننــا نخدم مصلحتنا الشخصية على حســاب الآخرين إن استطعنا أن نفعل ذلك دون أن يفتضح أمرنا .

لا يستطيع أى منتقد — مهما كان انتقــاده مراً وقاسياً — أن يلمس الشر الـكامن فى قلوبنا ، أو يعبر عن عُشر حقيقتنا . بل إننا أنفسنا لم ندرك

قط مقــدار الشر الذى فينا ، فلا ينبغى أن نعجب إذا ما اكتشفنا فى أنفسنا ما يخجلنا ويحزننا . لذلك خليق بنا أن نفحص . كان شعار الناس قديمًا هو « إعرف نفسك» ، وإذا ما اكتشفنا حقيــقة أنفسنا أسرعنا الى الله طالبين منه التطهير والنعمــة . لا حاجة بنا الى أن نطيل التــأمل فى خطايانا ، كأن الصحة تأتى بالتأمل فى المرض ، لـكننا نحتاج الى نار الله الفاحصة . فلنعرف الشرور التى فى داخلنا . لنعرف كم من الخشب والعشب والقش بُنى على هذا الأساس الذى وُضع يقينــاً فى قلوبنا . لنخضع لاكتشافات المرض الذى يكشفه أصبع الله . يا الله ، يا مَن أنت مثل النار ، اختــبرنى واعرف قلبى ، امتحنى واعرف أفكارى .

النــار تطهر . تختلط المعادن بعناصر أدنى منها . فالتراب ، الذى أحاط بها أجيــالاً طويلة ، يلصق بها ، والأقذار تقلل من قيمتها . لـكن ألقها فى النار المحماة ، وبعد قليل ترى أن المعدن تطهر من كل الأقذار التى لصقت به ، وتخلص من كل زغل ، وأصبح يليق بأن يتشكل بأى قالب تصــبه فيه . أليس هذا ما يفعله الله معنا ؟ انه نار آكلة .

فى الرؤيا القديمة ، عندما شكا إشعياء من نجاسته طار اليه واحــد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها من على المذبح ، ومس بها شفتيه قائلاً «هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكفر عن خطيتك» (اش ٦:٧). أفلا يفعل الله معنا هكذا ؟ لقد تطهرنا من دنس تعدياتنا الـكثيرة ، لـكن ألا نحتــاج لهذا التطهير الـكامل العميق النارى ؟

هنالك ثلاثة عوامل للتطهير : المعمودية ، دم ابن الله ، ونار الله التى هى

الروح القدس . إننا نعرف بعض المعرفة عن العاملين الأولين ، لكن هل نعرف معنى العامل الآخر ؟ لقد تطهرنا بالمعمودية وبالدم ، لكن هل جزنا أيضاً فى النار ؟ «هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» .

نحن لا نستطيع أن نعبر بكلمات كثيرة عن كيفية هذه العملية المباركة، لكن القلب هو الذى يحس بها ويختبرها. ليس معناها أن التجربة تكف عن أن تهجم ، أو انه لا يبقى هنالك أى احتمال للخضوع للخطية مرة أخرى ، أو أن الميول الشريرة للطبيعة القديمة قد استؤصلت ، لكن معناها أنه قد أحرقت تلك الشرور التى ظلت طويلاً متسلطة ، والتى عطلت مجد عمل الله فى القلب . هنالك تحرر حيث كانت العبودية ، وطهارة حيث كان الفساد ، ومحبة حيث كان الحقد والحسد والعداوة .

ان هذه العملية المباركة التى يتممها الروح القدس يمكن أن يختبرها كل من يريدون ، وكل من يقبلون بالايمان كل ما يريد الله أن يتممه من أجلهم. فلنردد اذاً ما قاله أحدهم فى صلاته : «أيتها النار المطهرة اعملى فى قلبى» .

النار تغير وتجدد . إن قضيب الحديد صلب ، وبارد ، وأسود ، لكن اذا وضعته بضع دقائق فى النار أصبح ليناً ، وساخناً جداً ، وأبيض اللون من شدة الحرارة ، واذا ما أخرجته من النار عادت اليه صفاته القديمة التى لا يمكن أن تظهر طالما كان الحديد فى النار . لقد تغير شكل الحديد الى شكل النار التى كان مغموراً بها .

وهذا نفس ما يحدث لنا . فنحن بالطبيعة نتصف بالقساوة ، والبرودة ، والسواد . ويبقى ميل طبيعتنا دواماً نحو هذه الاتجاهات ، منتظراً حتى يظهر

نفسه اذا ما ترك لنفسه . لكننا اذا ما تأملنا دواماً فى النار المطهرة،واشتعال محبة الله ونور الله وحياة الله ، حدث فى حياتنا تغيير عجيب ، وتغيرنا الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد. لا تبقى بعد قساوة ، بل نتشكل بأى شكل يختاره لنا الله. ولا تبقى بعد برودة ، بل نشتعل بمحبة الله ومحبة الآخرين . لا يبقى بعد سواد ، بل نرتدى ثوب الطهارة الناصع البياض .

لقد ظللنا طويلاً ننفر من بوتقة النار المشتعلة ، التى ليست هى الأحزان أو المحن أو الآلام ، بل الله. لنفتح قلوبنا للروح القدس لكى يملأنا،وعندئذ نتغير الى صورته ، ويبدو كأن طبيعتنا القديمة قد صعدت الى السماء فى مركبة نارية وخيل نارية وفى نار الله نصبح ناراً .

الفصل الثالث عشر

« الروح يعين »

(رو ٨: ٢٦)

فى هذا الاصحاح الخالد، الذى يمس كل نواحى الحياة المباركة، إذ يفتتح بهذه العبارة « لا دينونة » ويختتم بهذه العبارة «من يفصلنى»، نجد مواعيد رائعة عن عمل الروح القدس المستديم . وخليق بنا أن نتأمل فيها ملياً، لأن الحاجـة الصادقة التى يحتاج اليها المؤمنون اليوم هى أن يحصلوا على معرفة أوضح لخدمة الروح القدس المباركة .

١

الروح القدس يرشدنا (ع ١٤)

إن العالم الذى نعيش فيه مظلم جداً ومعقد جداً ، بحيث أننا سرعان ما نضل الطريق فيه إذا ما تُركنا لأنفسنا دون أى صوت داخلى يهدى خطواتنا ويرشـدنا. ولا يمكن أن يتركنا أبونا السماوى نتحسس طريقنا فى الظلام . وإن كنا نجد أن هذه الحاجة قد وفاها الروح القدس بإيحاءاته الداخلية أفليس هذا هو ما كان يجب نتوقعه تماماً ؟ « ينقادون بروح الله » (ع ١٤). وقد تعطى هذه القيادة والإرشاد فى توافق الحوادث ، أو فى نداء الظروف، أو فى

تطبيق آية من الكتاب المقدس على قلوبنا، أو فى غالب الأحيان فى ذلك النور الداخلى، وذلك الصوت الهادىء الخفيف اللذين لا يشعر بهما إلا القلب المتيقظ .

هذه القيادة لا يحرم منها أبداً أى واحد من أولاد الله يكون فى ارتباك وحيرة،وفى حاجة حقيقية اليها، وينتظرها فى ايمان ثابت لا يتزعزع.فى بداية الأمر قد تكون غير واضحة ، لكنها فيما بعد ستتلألأ بالنور، فمن الخير أن ننتظر حتى تصبح واضحة جلية « الرؤيا بعد إلى الميعاد وفى النهاية تتكلم ولا تكذب . إن توانت فانتظرها لأنها ستأتى إتياناً ولا تتأخر » (حب ٢: ٣). والشرط الوحيد المطلوب منا إتمامه هو أن نخلى قلوبنا من كل تحيز ومن كل عناد ومن كل الميول الطبيعية،وأن نكون مستعدين لإتخاذ أى طريق يوحى الينا به، وعندئذ نعرف قيادة الروح القدس بفرح و يقين.

الروح يشهد أننا أولاد الله (ع ١٦)

كثيراًما اُسىء فهم طريقة هذه الشهادة.فالبشر قد ينتظرون أن يسمعوا صوتاً خفياً يتحدث الى قلوبهم قائلاً «أنت أحد أولاد الله». ولأن انتظارهم هذا صار باطلاً فقد يتسرب اليأس الى نفوسهم.لكن هذه الشهادة المباركة هى تأثير سرى داخلى وليست صوتاً مسموعاً ،هى تأكيد يزداد قوة كلما مرت الأيام ، وعلى صخرته تتحطم كل الشكوك .

وموضوع شهادة الروح مبدئياً ليس هو أننا أولاد الله بل ان الله هو أبونا. لقد علمنا أن ندعو الله « أبانا »، ولقد أعطانا الروح الذى به نصرخ

قائلين يا أبا الآب . هو يدعونا لا لـكى نفكر فى بنوتنا له بل فى أبوته لنا .
وفى المسيح تزداد محبتنا لله، و يصبح لنا بهجة وسروراً،فالمحبة الكاملة تطرح
الخوف إلى خارج ، و يتحول القلب الى الله بحرية ودالة الابن نحو أبيـــه .
وهكذا يصبح موقفنا نحو الله — دون أن نشعر — أفضل دليل على أننا
أبنـاؤه .

الروح يعين ضعفاتنا (ع ٢٦)

نحن لا نشعر بضعفاتنا اكثر مما نشعر بها وقت الصلاة.فى بعض الأحيان
تشرد أفكارنا وتتشتت،أو تضعف وتخور قواها قبل ان نجاهد لنحصر أفكارنا
فى الصلاة.من ذا الذى لم تمر عليه أوقات شعر فيها بجهاد عنيف وقت الصلاة؟
قد نتعب فى الاحتفاظ بروح الصلاة،ونحن لا نعرف ما نصلى لأجله،ونجهل
أفضل الحجج التى نقـدمها، كثيراً ما نطلب رديا، أو لا نستطيع ان نحتفظ
بصفة مستديمة بروح العبادة. يعوزنا ذلك الايمان الهادىء الذى يستطيع ان
يترك أثقاله عند عرش النعمة و يستريح .

فى كل هذا يعيننا الروح « يعين ضعفاتنا » . فانه إذ يعرف فـكر الله
يوحى الينا بتلك الأشياء التى يسر الله أن يمنحها ، والتى تنتظرنا لنطلبها من
يديه، انه كذلك يوحى الينا بها،و يثير فى داخلنا رغبة قوية نحوها،و يقودنا
الى ان نسكب نفوسنا فى صلاة قوية حارة لأجلها، وعندما تشعر بتيار قوى
من الرغبة ينشأ فى قلبك، يدفعك نحو الله ، سلم ذاتك له، ودعه يعمل عمـله
المبارك.وحتى إن أحسست بان تلك الرغبة مصحوبة بشىء من الألم فلا تحاول

ان تصد ، لأن الروح القدس يكون وقتئذ قد حملك الى مقاصد الله،واقتادك لطلب الأمـــور التى انشغل بها قلب الله ، والتى تحوم فوقك كسحاب من البركة ، ليسكب عليك بركات كالمطر المنهمر . إن الصــلاة الحقيقية هى ان يحاول المرء بأن يعبر عن الأفكار العميقة التى لا يعبر عنها، والتى يوحى بها الروح القدس فى الداخل .

والروح يشفع فينا بأنات لا ينطق بها (ع ٢٦)

قال « جيته » الشاعر الألمانى انه عندما كان يقف وحيداً وسط مناظر الطبيعة كان يشعر بأنه أسير سجين يئن مشتاقاً الى الفــداء والنجاة . و يبدو أن الرسول كان يخامره فــكر كهذا عندما تحدث عن أنين الخليقة وأنين القديسين .

أما أنات الروح فانها من نوع آخر،ليست هى أنات الموت،بل أنات مخاض الولادة التى تبشر بولادة جديدة.آه،لا يستطيع احد أن يدرك مقدار ما تسببه خطايانا واحزاننا من ألم لقلب الله «فحزن الرب.. وتأسف فى قلبه» (تك ٦:٦) «إنى قد رأيت مذلة شعبي.انى علمت أوجاعهم» (خر ٧:٣). « فى كل ضيقهم تضايق » (اش ٩:٦٣). من كل هذا تنشأ التشفعات التى يبعثها الروح القدس داخل القديسين ومن أجلهم ، والتى فى بعض الأحيان تهز النفس التى تجاهــد فيها لــكى تنطق . كم نحن مدينون لهذه التشفعات التى لا ينطق بها ؟ كم من المرات أتت لقلو بنا وحياتنا ببركات لا يعبر عنها ؟

لو أدركنا قيمة تلك التشفعات اللطيفة الهادئة ، بل القوية ، لفاضت قلوبنا بالشكر العميق .

هـذه كلها علامات على حلول الروح القدس فى القلب. وكل ما يفعله فيه من عمل مجيد لا ينطق به انما هو نتيجة مشيئة الله ، ولذلك فلا بد أن يتحقق يوماً ما :

« لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » (رو ٨ : ٢٧) .

الفصل الرابع عشر

« لا يعير »

(يع ١: ٥)

أليس هذا جديراً بالله؟ جدير به ان يعطى،وأجدر به ان يعطى بسخاء، وأجدر به جداً ان لا يعير الطالبين ، لأن التعيير يفسد جمال عطية المعطى .

نحن نعير الآخرين لأنهم يطلبون كثيراً ، ونجعل مساعدتنا لهم فرصة للتوبيخ أو لإلقاء الدروس . نحن نجعل الطالبين ينتظروننا الى ان نكمل توبيخنا لهم الذى نظن انهم يستحقونه، أو نذكرهم بالفرص الكثيرة الماضية التى أنكروا فيها جميلنا لهم أو أساءوا الينا ، لكن الله ليس لديه شيء من هذا .

إن ذهبنا اليه الف مرة فى يوم واحد فانه لن يعيرنا بذهابنا اليه كثيراً . إن طلبنا منه طلبات كثيرة جداً فانه لن يعيرنا بطلبنا منه اكثر من اللازم. إن ذهبنا اليه بعد سنوات من إنكار الجميل والإهمال فانه لن يعيرنا بالماضى . انه لن يذكرنا بالماضى ، بالرغم من ان مراحمه سوف تذكرنا به اكثر من أقسى توبيخاته .

لقد كانت بركة عظيمة للابن الضال ان لا يلتقى بأخيه الأكبر قبل

إلتقائه بأبيه.لو أنه التقى بأخيه الأكبر فى الحقل لما تقدم الابن الضال خطوة أخرى، بل لكان أخوه قد عيره بترك البيت،و بتدمير ثروته،وعودته فى مثل تلك الحالة المحزنة، ولما كان قد ذبح العجل المسمن،بل كان كفيلاً بأن يبدد كل رجاء من تلك النفس البائسة الملوثة بالخطية،وكان ذلك التائب المسكين قد ألقى نظرة وداع واحـــدة لبيته العزيز، وعاد إلى الكورة البعيدة والى الخنازير، وكانت تلك التعبيرات قـــد قصفت القصبة المرضوضة وأطفأت الفتيلة المدخنة فى الظلام الحالك .

لكن الابن الضال كان سعيداً إذ إلتقى أولاً بأبيه،الذى لم يكف قلبه عن ان يحن اليه،ولم تكف عينه عن ان تغالب الحزن ومرور السنين وهى تتفرس فى الطريق الذى سلكه ابنه الضال إذ هجره.هل كان هنالك أى تعبير فى نظراته أو فى نغمة حديثه ؟ كلا . هل كان هنالك أى تعبير اختلط بكلمات ترحيبه الأولى؟ كلا. لم ينطق بكلمة واحدة عن غيابه الطويل، أو تبديد الثروة ، أو الحياة الشريرة الأثيمة. لو كان سمح له ، لكان قد اكمل اعترافه الى النهاية، واختار لنفسه ان يحسب كأجير، لكنه لم يسمح له ، وأسكته بعناق محبته الحار . لقد أعطاه بسخاء ولم يعير .

هذه صورة صادقة عن الله. فهو يعطى، ويكرر العطاء . لقد أعطانا ابنه الوحيد،وبذله عنا.ومع ذلك فعندما يطلب البشر عطايا أخرى،و يطلبون منه سنوات من الصبر وطول الأناة ، فانه يعطى ولا يعير ، مع الرغبة الأكيدة فى ان لا يعطى الخاطىء أى مبرر للاعتذار،أو أى أساس للاصرار على الخطية.

إن أرق محبة بشرية قد تتغير فى بعض الأحيان الى مرارة، وإذ تتحول الى مَن سبق ان أحبته ولكنه تنكر لها فانها تعيره باساءاته و بتنكره، وذلك بكلمات قاسية جداً. أما محبة الله فانها « تحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء» — ولا تعير. إذن فلا تستمر بعيداً لأن قلبك يدينك، أو لأنك أسأت استخدام هباته فى الماضى، والتعيير الوحيد الذى تحتاج الى ان تخافه هو تعيير قلبك لك لانك لم تأت من قبل.

لقد نطق الرسول يعقوب بهذه العبارة « لا يعير » بصفة مبدئية بصدد حاجتنا الى الحكمة، وهذه حاجة تتكرر بصفة مستمرة. فنحن نشبه أطفالاً صغاراً يتحسسون فى الظلام. لم نسلك هذا الطريق ابداً من قبل. وفى كل يوم نواجه صعوبات لا نستطيع ان نذللها ومشاكل لا نستطيع ان نحلها. كيف نستطيع ان نسلك طريقنا وسط مثل هذه الحيرة وهذا الارتباك فى هذه الحياة البشرية العجيبة؟ أين الانسان الذى يستطيع الاعتماد على حكمته بحيث يقدر أن يعطى قراراً حاسماً؟ ألا نحتاج الى صديق كلى الحكمة يسهل الوصول اليه فى كل وقت لكى يرشدنا كيف نسلك عندما يتشعب الطريق؟

يا لها من تعزية إذ ندرك انه عندما تعوزنا حكمة فاننا نستطيع ان نلجأ الى الله لطلبها. إن كنا قد ذهبنا اليه مراراً من قبل، فاننا نستطيع الذهاب اليه مراراً أخرى. إن كنا فى حاجة الى تعليم طويل فلا حاجة بنا لكى نخجل. إن كنا أغبياء جداً ونحتاج الى تبسيط الأمور جداً و إيضاحها كما الى طفل غبى فالله لن يمل. إن كنا قد تغاضينا عن النصيحة المعطاة لنا، فاننا نستطيع

ان تأتى ثانية كأنها أول مرة ، واثقين من الترحيب القلبى ، والإصغاء التام ، ومنح البركة الوفيرة . إنه « لا يعير » .

قد لا تعطى الحكمة مقدماً ، أو بالطريقة التى نفكر فيها ، لكنها سوف تعطى فى الوقت المناسب . سوف تعطى فى التأثير القوى على القلب ، والاقتناع القوى بالواجب ، وفى ملاءمة الظروف ، وفى إعلان العلامات البسيطة التى لا تراها إلا العين المفتوحة . سوف تعطى ، ولن يستطيع احد أن يناهض أو يقاوم حكمة تعطى هكذا . سوف تكون كحكمة سليمان التى أعلنت عن نفسها فى الحال للعالم « رأوا حكمة الله فيه » (١مل ٣:٢٨) .

ولن يكون هنالك الوقت الذى فيه يعوز طالبى الرب هذه الحكمة أو غيرها ، لانه

« يعطى الجميع بسخاء ولا يعير »

الفصل الخامس عشر

«كل شيء لكم»

(١كو ٣: ٢١)

« كل الاشياء تخدم الانسان الذى يخدم يسوع المسيح ». هـذا قول يشبه معنى الكلمات التى ختم بها الرسول بولس حديثه هنا.لا نريد الآن أن نتتبع خطوات بحثه المتتابعة التى كان يزدحم بها قلبه، لـكن لنتأمل فى خاتمة هذا الحديث الرائعة « كل شيء لـكم . وأما انتم فللمسيح . والمسيح لله ».

ليست الفـكرة الرئيسية فـكرة إمتلاك أو ملـكية ، لانه مع ان هـذا صحيح فيما يختص بالعلاقة بيننا و بين المسيح، إلا انه ليس صحيحاً فيما يختص بالعلاقة بين المسيح والآب . وواضح ان هـذه العلاقات مبنية على أساس واحد، لأن الذين تربطهم معاً يرتبطون فى علاقة واحدة بعضهم مع بعض. إذاً فما هى تلك العـلاقة المشتركة التى تربط كل الاشياء بنا بنفس الطريقة التى نرتبط بها نحن بالمسيح ، و يرتبط بها المسيح بالله الآب ؟

هنالك أساس واحد مشترك تقف عليه هذه العبارات، هو «الخدمة»، وهى الخيط الذهبي الذى يسرى فى كل الخليقة و يجعلها واحدة. كانت هنالك

خرافة قديمة تقول « إن كل الاشياء مربوطة حول قدمى الله بسلسلة ذهبية» ويقيناً ان العلاقة الحقيقية العميقة التى تحدثت عنها الخرافة هى الخدمة التى تقدمها لله كل مجموعة من الخليقة. وكلما سمت الخليقة سمت الخدمة وصارت اكثر نقاء .

بهذا المعنى نحن خدام الله وعبيد الله : « أنتم للمسيح ». طبيعى اننا للمسيح بمعنى اننا ملك له ، فهو خلقنا، واشترانا. لكن كثيرين منا يشبهون أنسيمس، عبد فليمون، عندما تمرد على سيده، لقد كان على الأرجح يحمل سمة سيده الذى اشتراه بماله، لكنه تمرد عليه وترك خدمته ، متبعاً هواه ، ومنقاداً لمشورة الأشرار. ونحن ايضاً قد اشترانا الرب بثمن لا يقدر، لكننا أبعد ما نكون عن خدمته الخدمة الواجبة .

نحن لا نستطيع ان نعرف افكار المسيح وخططه الآن، لكننا نستطيع ان نعرف بعض المعرفة عن مقاصده وتحركاته إذ كان على الارض . فلنتخذ هذه أنموذجاً لنا يوماً فيوماً . لقد كان لا يطلب مشيئته بل مشيئة الآب، فلنتمم مشيئة الله التى يعلنها لنا ساعة فساعة.لقد كان يتمم أعمال الآب،فلنسلم ذواتنا للمسيح،فلا نحيا نحن بل المسيح يحيا فينا. لقد ضحى بكل شيء لكى يتمم أعمال من أرسله،فلنضح نحن ايضاً بكل شيء إن أردنا ان نسمع ذلك الصوت « نعماً ايها العبد الصالح والأمين » . بهذه الطرق وبكثير غيرها نستطيع ان نجعل حياته وخدمته أنموذجاً لنا. بل والأفضل فلنسمح له بأن يعمل فينا ويتمم فينا مثله الأعلى .

وحينما نتخذ هذا الموقف الصحيح مع الرب يسوع المسيح فاننا نجد أن كل الأشياء تبدأ بأن تخدمنا خدمة دائمة منظمة مباركة. ونجد أن كل حادثة أو كل الظروف تحمل الينا بركات جزيلة من لدن ربنا ومعلمنا وسيدنا، تحمل الينا هدايا نفيسة من بعيد — ذهباً ولباناً ومراً. إن كنت متبرماً بنصيبك فى الحيـــاة ، متذمراً ، متوهماً بأن الزمن قد سلبك أشياء كثيرة ، فتأكد بأن علاقتك مع المسيح ليست كما يجب أن تـكون . والعلاج الوحيد الصحيح هو أن ترتمى عند قدميه كعبد . عنـدئذ يصبح كل شيء لك بهذا المعنى العميق .

« أبولس أم أبولس أم صفا » (١ كو ٣:٢٢) : كل اسم من هـــذه الأسماء يمثل نوعاً خاصاً من التعليم. فبولس يمثل المعلم القوى الحجج. وأبولس يمثل المعلم الفصيح العبارة . وبطرس يمثل المعلم الـكثير النصائح . لا تتغاض عن أى معلم ، فانك تستطيع ان تتلقى بعض الدروس من أقل واحد . وإذ تتجمع هذه الدروس مع ضآلتها فانها تـكون درساً نافعاً جـداً ، بل درساً كاملاً .

« أم العالم » : العـــالم هو مدرستنا ، وعلى جدرانه علقت الخرائط ، والصور، والدروس البسيطة. لا توجد زهرة واحدة، أو نجم بعيد، أو جدول ماء ، أو صوت شجى أو غير شجى، لا توجد خليقة حية، أو عملية من أعمال الطبيعة— لا تخدمنا، ليس فقط بتقديم أعوازنا الينا، بل ايضاً بتقديم دروس

عميقة الينا كتلك الدروس التى كان يستقيها الرب يسوع المسيح من المناظر المحيطة به قائلاً: « يشبه ملكوت السموات ».

«أم الحياة أم الموت»: عندما تدب الحياه فى كائن جديد صغير قد يبدو بأن ذلك يتطلب منك خدمة مستمرة لا تنال عنها تعويضاً كافياً. لكن هذا ما يبدو لك بحسب الظاهر فقط، فان هنالك معنى أعمق، هو أن الطفل الجديد يقدم لك خدمة جليلة، إذ يوحى اليك بأفكار أعمق عن الحياة وعن معنى الحياة ومصيرها، وذلك بأن يعلن لك شيئاً عن الرابطة بين الله و بين نفسك، تلك الرابطة التى تجعلك تقول له «أبانا»، و إن كان يبدو لك أن الموت يسلبك إلا انه فى الواقع يغنيك، بأن يثبت فيك الشعور بالتسليم الكلى لإرادة الله، والثقة فيه، وتوقع اى شىء — هذا الشعور الذى ليس من طبيعة الانسان.

« أم الأشياء الحاضرة أم المستقبلة »: ما أسرع مرور حوادث الحياة اليومية فوقنا، و إذ تجتاز يبدو لنظرنا الضعيف بأنها تسلبنا ماهو عزيز علينا — نشاط الحركة، قوة البصر، متانة الأعصاب، الأصدقاء الأعزاء، الثروة التى حصلنا عليها بالكد والتعب، لكنها فى بعض الأحيان تغنينا بكيفية واضحة. فالشبان يشعرون بأنهم فى كل يوم يكسبون شيئاً جديداً. والهبات الصالحة الكاملة تأتى متتابعة. لكننا عندما تتقادم بنا الايام يكون هنالك شعور مستمر بالخسارة.

أما فى نظر الله، وفى دائرة الروحيات، فان هذه النظرة السطحية تتلاشى

وتزول كما يزول الضباب تحت لمسة أشعة الشمس ، فنجد أن كل الحوادث تأتى الينا محملة بالبركات ، وكل الرياح تدفعنا نحو الميناء .

نحن لم نخلق لكى نكون تحت حكم الظروف، كريشة فى مهب الرياح، بل لكى نتحكم فى الظروف . وقد رتبها كلها أبونا السماوى لكى تكون خادمة لنا ، ومعلمة إيانا ، لكى تكون تحت أمرنا وفى خدمتنا نحن ورثته

« كل شىء لكم »

الفصل السادس عشر

«نعمل معاً للخير»

نظرة المحبـــة الفاحصة

(رو ٨: ٢٨)

لم يُعط لكل البشر أن يتطلعوا خلف ظواهر الحيـــاة اليومية لـكى يروا مقاصد الله. هذا هو امتيـــاز أولاد الله المفديين بالدم الـكريم الذين غمرت قلوبهم محبة الله.

المحبـــة تسرع فى إدراك معنى كل إشارة، وكل همسة. المحبة تستطيع بالغريزة ان تدرك الاسرار التى هى أعمق من ان تعبر عنها الكلمات. المحبة تستطيع ان تنتظر حتى يكشف عن تلك الافكار العميقة التى لم ترها عين، ولا سمعت بها أذن، ولم تخطر على بال انسان. المحبـــة هى الجو الملائم الذى يحل فيه الروح القدس، روح المحبة، والذى هو ايضاً روح المعرفة والاعلان، والذى يعلّم بقدرة تفوق قـــدرة كل معلم. إن أردت ان تعرف فيجب ان تحب.

هل تحب؟ أتستطيع ان تجيب على هذا السؤال «أتحبنى» دون تردد لحظة واحدة؟ لا تقدم الاجابة على العواطف أو الاحساسات العابرة فهذه قد

تزول يوماً ما . لكنها تقوم هنا — هل هناك شعور متزايد بمحبة الله لك ، وبرعايته الأبوية ؟ هل أنت أكثر حساسية للخطية فى حياتك وحياة الآخرين ؟ هل تبعث فيك وصاياه طاعة هادئة كاملة ؟ هل تجد فى يوم الرب وكتابه المقدس ، وشعبه ، بهجة أكثر مما كنت تجده سابقاً فى مناظر العالم ومباهجه ؟ إن كان الأمر كذلك فانت تحبه ، وهذه المحبة سوف تنمو .

وإذ تنمو على مر السنين فسوف تدرك أخيراً بأنها ليست محبتك بل محبته ، انها هى انعكاس محبته ، شعاع محبته التى سلطت على قلبك وانعكست كما تنعكس أشعة الشمس اذا سلطت على مرآة . هى نتيجة مقاصده الازلية التى قصدها فى نفسه فى الأزمنة الازلية (اف ١ :٩و١٠) . يا لهذا المصدر العجيب للمحبة فى قلوبنا الضعيفة ، تلك المحبة التى عملت فى دعوتنا ، والتى أتت بمثل هذه النتيجة فى الذين كان يمكن ان يكونوا بدونها عديمى المحبة — غير محبين وغير محبوبين .

المحبة تميز اتمام قصد الله

«ونحن نعلم أن كل الاشياء تعمل» . بالرغم من ان الكواكب تبدو ثابتة فى السماء فاننا نعلم انها تسير فعلاً فى طريقها بسرعة عظيمة . ومياه المحيط تبدو راكدة تحت أقدامنا ، لكنها فى الواقع فى حركة دائمة ، فان تياراتها تسير هنا وهناك فى طريقها المعين .

هكذا توجد أوقات تحتاج فيها حياتنا الى التنوع والى الاحداث الطارئة . النهر يسير متباطئاً فى السهل المستوى . وحياتنا تسير على وتيرة

واحدة مملة كل يوم . ونميل الى الاعتقاد باننا لا نتقدم الى الامام ، ولا نتعلم دروساً جديدة ، واننا واقفون دون حركة كوقوف الشمس فوق جبعون ، أو اننا سائرون الى الوراء كرجوع الظل الى الوراء بدرجات آحاز (٢ مل ٢٠:١١) .

عندئذ تتدخل المحبـــة ، فترى ان الله يعمل ، متمماً مقاصده ، ودافعاً الحياة الى الامام — وان كانت لا تشعر — الى آفاق جديدة من الاختبار تفوق كل عقل . ان النهار فى الطريق الى الإشراق ، والثلج فى الطريق الى الذوبان ، والصورة فى طريقها الى الكمال ، وكل الاشياء تتحرك . والله يتمم كل الاشياء حسب ارادته الصالحة .

والمحبة تميز أن قصد الله شامل جامع

«ونحن نعلم ان كل الاشياء تعمل» . يميل البشر الى التمييز بين اعمال العناية الخاصة واعمال العناية العامة . انهم يميلون الى الاعتراف باصبع الله فى الحوادث البارزة ، أو فى بطش سيف عـــدل الله . انهم لا يترددون عن الاعتراف بان الحيــاة فى جملتها يدبرها الله ، لكنهم يترددون فى الإعتراف بانه يتدخل فى كل تفاصيلها ، مهما كانت تافهة كسقوط عصفور ، أو شعر الرأس . انه يتدخل فى طول الحياة وعرضها لا فى كل خطوة فيها .

لكن المحبة ترفض التسليم بهذا التعليم ، فهى تشعر بان الله لن يسمح بان يتجاوز عن أتفه شىء فى الحياة . واللحظة التى يتغافل فيها عن الحيــاة بكل تفاصيلها تكون لحظة الخراب النهائى . وعـــلاوة على هذا فان المحبة

ترفض التصديق بان الله يتغافل عن مصير الحيـــاة طرفة عين ، أو ان شيئاً واحداً يمكن ان يحدث دون ان يكون هو الذى رتبه وقصده وسمح به. ان عين المحبة الثاقبة تراه يراقب دائماً سلوكها ونومها ، وتدرك انه يعرف كل طرقها.

وهكذا تبدو النفس بانها لا تتعامل مع الاشخاص أو الاشياء ، بل مع الله فقط. إنها لا تنظر إلى العوامل الفرعية ، بل إلى العامل الاصلى الجوهرى. إنها تدرك بان إرادة الله هى التى سمحت أو حركت كل حادثة تعرقل سيرها مهما كانت تافهة.

إنها ترى بان الله يستخدم كل الاشياء ليتكلم فيها ، وأن كل الاشياء قد رتبت لمقاصد رحيمة حكيمة ، وأن كل الاشياء قد أخرجتها عجلة الخزاف الأعظم ، الذى يصور من الطين الغشيم آنية للكرامة.

والمحبة تدرك تناسق قصد الله

« ونحن نعلم أن كل الاشياء تعمل معاً ». قد يبدو للعين الجسدية بأن الاشياء تعمل ضد بعضها البعض. فالريح الشمالى ضد الجنوبى. والصقيع يعاكس تفتح الزهور. والدموع ضد الإبتسامة. أما المحبة فانها تتبين تناسق كل الاشياء ، وترى أنها تعمل معاً كعجلات ميكانيكية ضخمة ، فهذه العجلات إن كانت تدور فى اتجاهات مختلفة إلا أنها تسرع فى إعطاء نتيجة طيبة جداً. عندما يصف الطبيب دواء معيناً ، فانك تذهب إلى الصيدلى ليجهزه ، وهذا يأخذ عنصراً من هذه الزجاجة ، وعنصراً آخر من زجاجة

أخرى . وإذا ما أُخذ عنصر واحد وحده فانه قد يقتلك فى الحال ، لكن عندما تمزج معاً جيداً فانها تعمل معاً للشفاء الكامل .

لا تتساءل فى ظلام الشك كيف يمكن أن يكون هذا الشيء لخيرك . انتظر حتى ترى الاشياء الاخرى التى يعادله بها الطبيب الاعظم . إنه فى تصرفاته مع أولاده يعادل هذا بذاك بكيفية عجيبة جداً . فالذى يعمل لخيرك ليس شيئاً واحداً بمفرده ، بل شيء يوضع مع ثان ، وثان مع ثالث ، وثالث مع رابع . وعندئذ تجد أخيراً أن « كل الاشياء تعمل معاً للخير » .

أنت لا تستطيع رؤية جمال تلك الألوان القاتمة ، لكن انتظر حتى تتعاون كلها معاً فتخرج صورة رائعة الجمال . أنت تتذمر أمام برودة الشتاء ، لكنها سوف تتعاون مع هواء الصيف لكى تنتج فاكهة الخريف . أنت ترفض أن تتعزى أمام ضيقة شديدة ، لكنك إن استطعت أن تضع حداً لقلقك وتذمرك حتى ترى البركة التى اقترنت بها ، فانك تشعر بان الامر كان يستحق أن تشرب الكأس المر كأساس لحلاوة الحياة .

والمحبة تدرك أن مقاصد الله للخير

«ونحن نعلم أن كل الاشياء تعمل معاً للخير» . صحيح أن أعمال العناية الإلهية تبدو أنها تعمل للتدمير والحزن فى بعض الاحيان . ضيقة فوق ضيقة. وأنباء أليمة فى إثر أنباء أليمة . وإذ تحمل الشقيقتان لعازر حبيبهما إلى القبر ، وهما لا تجسران أن تعبرا عما يدور بفكرهما ، فانهما لا يمكن إلا أن تشعرا بشيء من القسوة من ذلك الذى كانت تعتقدان أنه لن يبطىء عن تقديم

يد المساعدة فى حالة المرض أو الموت . أيمكن أن يكون كل هذا للخير؟ أى خير يمكن ان ينتج عن هذه الاشياء ؟

عندئذ يتقدم الإيمان ايعضد المحبة ، ويتأمل فى محبة الله وأمانته . لقد أعطانا ابنه ، فهل يمنع عنا أى شىء صالح ؟ هو صالح ، فهل يمكن ان يعطى إلا العطايا الصالحة الكاملة ؟ هو يحب ، فهل يسمح بأى ضرر لمن أحبهم إلى المنتهى ؟ ألم تكن كل تصرفاته فى الماضى للخير فقط ؟ ألم تتحد شهادة القديسين فى كل الاجيال على ان النتيجة النهائية لكل تصرفاته إنما هى للخير ؟ ألم تضمن لنا كلمة الله بان تأديب المحبة الإلهية يعطى «ثمر بر للسلام» للذين يخضعون بمحبة لتأديب الله ؟ (عب ١٢:١١).

وهكذا تزداد المحبة تأكداً ، وتحول نظرها من التأديب إلى مَن يمسك عصا التأديب ، وإذ نتأمل فيها ملياً نرى من وراء نظرة الغضب ، نظرة المحبة الغامرة .

إننا قد نعيش حتى نحصد الخير فى هذه الحياة ، حصاد زرع الدموع . وإن لم نحصده هنا فاننا يقيناً سوف نحصده فى العالم الآتى حيث يكشف لنا الله عن مقاصده ، ويقدم لنا مبرراته ، ويفسر لنا المعانى الخفية ، ويمسح كل دمعة من عيوننا .

الفصل السابع عشر

«أنا هو الأول والآخر»

(رؤ ١: ١٧)

لمنظر جزيرة بطمس الموحشة وسط بحر اليونان، وأشعة الشمس كانت تبدو أكثر نوراً للرسول يوحنا فى منفاه لأنه كان وقتئذ «فى يوم الرب». وإذ كان يفكر فى جماعة الأبرار المكملين، مشتاقاً إلى ذلك العالم الآخر الذى لا يكون فيه بحر فيما بعد، أذهله مجد نور أمجد من نور الشمس فى الظهيرة، وظهر له منظر ذاك الذى اعتاد ان يتكىء على صدره قديماً بمحبة واثقة، لكن هيئته قد تغيرت الآن تغييراً عجيباً مجيداً.

وذلك الصوت الذى كان منخفضاً وقت آلام الصلب أصبح قوياً كصوت مياه كثيرة. وذلك الوجه الذى كان ملطخاً بالدماء أصبح يضىء كالشمس. والقدمان اللتان سمرتا بالصليب اصبحتا تلمعان بمجد عظيم كضياء النحاس. وفى اليدين اللتين أوثقتا بوثاق قاس كانت تتلألأ كواكب الكنائس. أما الصدر الذى اعتاد ان يتكىء عليه الرسول يوحنا فكان ممنطقاً بما يدل على مجده. فهل كان عجيباً ان الرسول الحبيب يسقط عند

قدميه كميت ويحتاج ان تقيمه هاتان اليـدان وان يشجعه من جديد ذلك الصوت ؟

يا لجمال تلك الكلمات العذبة «لا تخف أنا هو الأول والآخر»(ع١٧). يا للمعانى الرائعـة التى تنطوى عليها والتى لا يمكن الوصول إلى عمقها . إن يسوع المسيح هو مصدر كل الوجـود ، خالق كل الخليقة . هو « قبل كل شيء » (كو ١:١٧)، « أنت خلقت كل الاشـــياء وهى بإرادتك كائنة وخلقت» (رؤ ٤:١١). إن يده الخـــالقة هى التى خلقت العناصر الأولية للـكائنـات . وعندما يتم هذا الـكون دورته ، ويتمم القصـد من خلقته ، ينطق المسيح بكلمة انحـلاله ، ويأمره بالـكف عن الوجود ، والعودة إلى لا شيء كما كان .

أليس هو ايضاً الأول والآخر فى تدبير الفداء ؟ كل خطوة فى كشف هذا التدبير العظيم تحمل آثار أصبعه . لم يسمح لأية يد اخرى ان تتـدخل فى إتمام عمل المحبة الرائع هذا . لقد وضع أساس الخلاص فى اعماق آلامه . وكل عملية تالية فى البناء وضعت بمعرفته . وهو سوف يضع حجر القمةوسط هتاف الفرح والتهليل .

وهو ايضاً الأول والآخر فى تاريخ خلاصنا الشخصى . هو الذى خلق فينا الرغبة الاولى نحو حيـاة أفضل ، كسقوط الشعاعة الاولى من النور على خراب عصور ما قبل التاريخ . وإلى نعمته يجب ان ننسب كل فضيلة نمتلكها، وكل فـكرة مقدسة ، وكل درس نافع فى دائرة الحياة الروحية . نعم، وتحت

يده يجب ان ننمو على مر السنين إلى ان نصل إلى المقياس الكامل. وعندئذ سوف يصير مبدء الإيمان فينا هو ايضاً مكمله. سوف يضيء وجهه مثل كوكب الصبح المنير معلناً الصباح الابدى. ومهما وصلنا إلى أى سمو من البركة، فانه سوف يكون دائماً متفوقاً علينا. لأنه يجب ان يكون هوالآخر لمن كان لهم الاول.

أكاد أسمع الرب المجيد يقول «لا تخف، فانك لن تحتاج لأى شخص أو لأى شيء غيرى. لا تخف فان فى كل الكفاية. لا تخف، فان كل شخص آخر قد يتركك ويهجرك، اما أنا فانني ابقى معك دواماً الى الآخر. لا تخف، فان الزمن والحياة والارض تزول، اما انا فانني النهاية كما كنت البداية. كل الاشياء التي ترى سوف تنحل كخيال، اما انا فانني ابقى كصخر الدهور الذى لا يتزعزع ولا يعرف ظل دوران. لا تخف، لا تخف، انني لن اتركك ولن اهملك».

آه، مَنْ الذى يخاف، إن كان هو يقف بجانبنا وينطق بكلمات كهذه. لكن قبل ان نستمد منها تعزياتها الكاملة يجب ان نجعله الاول والآخر فى كل مشروع، فى كل عمل من اعمال اليوم، بل فى كل ساعة. يجب ان يبدأ كل شيء فيه، ويستمر فيه، ويختم فيه. يجب ان نطلب مشورته فى البداية، ومعونته فى الإتمام، وبركته فى الختام. يجب ان يكون هو كوكب الصباح وكوكب المساء. إن كان هذا هو الحال فلن يخاف المؤمن لانه يكون إذ ذاك مهيناً. يحق لنا ان نخاف إن خطونا اية خطوة فى اى مشروع جديد،

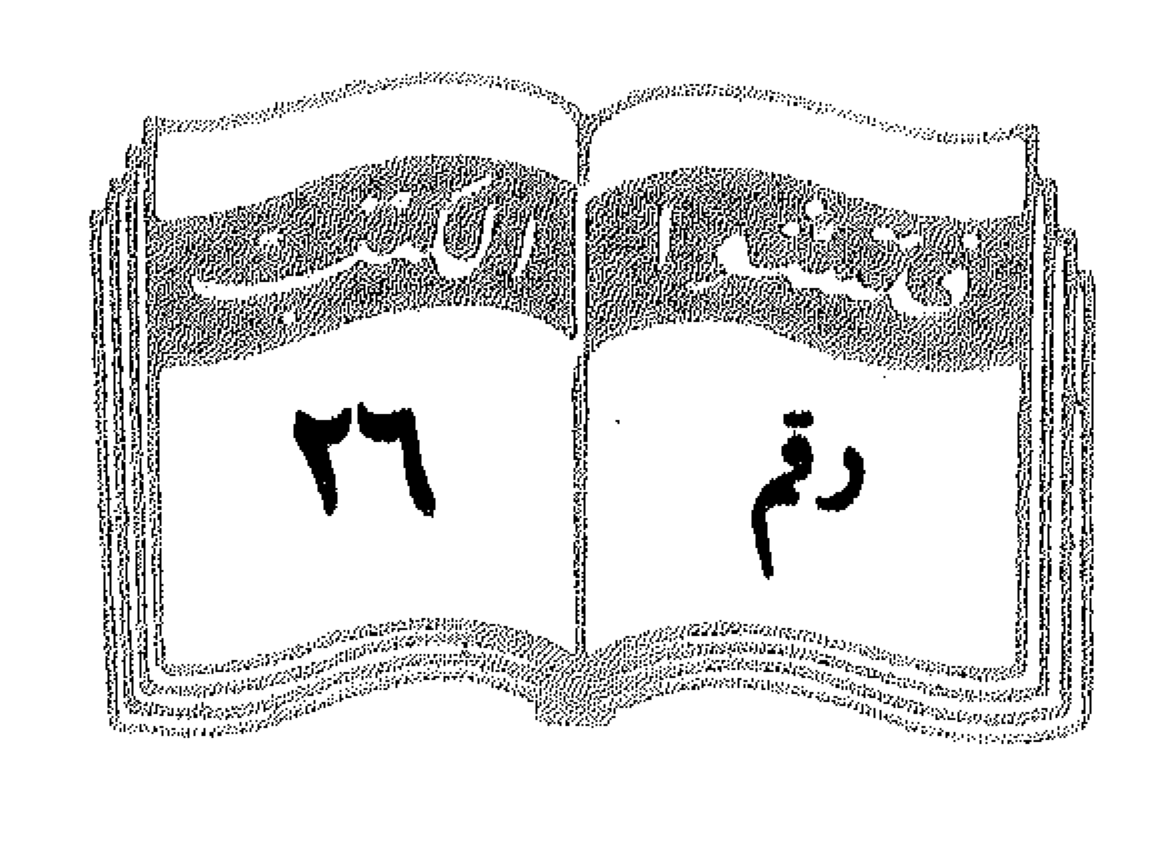
أو بدأنا أى عمل ، أو افتتحنا أى يوم بدونه ، واختتمنا بدون بركته .

اما ان كان هو الألف واليـاء فى كل شىء ، الاول والآخر والوسط ، الكل فى الكل ، عندئذ تتشجع النفس — مهما قامت الصـعوبات — اذ تصغى اليه يهمس قائلاً :

« لا تخف »

أسماء الكتب التي صدرت حتى الآن من سلسلة فتشوا الكتب

١ـ (الى العمل) : تعريب الاستاذ رمسيس ونيس
٢ـ (رجل الله) : تعريب دكتور عزت زكى
٣ـ (حياة الصلاة): تعريب دكتور ماهر فهمى
٤ـ (حياة القداسة): تعريب دكتور نبيه فريز
٥ـ (معجزات الايمان فى حياة ليليان تراشر): تأليف الاستاذ باقى صدقه
٦ـ (مزمور الراعى) : تعريب القمص مرقس داود
٧ـ (السماء): تعريب الاستاذ فؤاد زكى
٨ـ (أسرار الحياة المسيحية) : تعريب القمص مرقس داود
٩ـ (الواقفون على الباب) : تعريب دكتور ماهر فهمى
١٠ـ (استشهاد مارسيلوس) : تعريب دكتور صبحى واصف عبد الملك
١١ـ (صليب الافتخار) : تأليف الاستاذ أنيس يونان
١٢ـ (استجابة الصلاة فى حياة جورج مولر): تعريب الأستاذ باقى صدقة
١٣ـ (الطريق الى الله) : تعريب الأستاذ فؤاد زكى
١٤ـ (مخلصون ومحفوظون) : تعريب القمص مرقس داود
١٥ـ (كيف تحصل على القوة الروحية) : تعريب الاستاذ رمسيس ونيس
١٦ـ (سر نجاح رابح النفوس) : تعريب دكتور نبيه فريز
١٧ـ (الأذرع الأبدية) : تعريب دكتور صبحى واصف عبد الملك


فتشوا الكتب
رقم ٢٦